بلاغة الإقناع في مناظرات الشيخ عبدالمتعال الصعيدي ت ١٩٦٦م ضد المستشرقين

كتبه/ محمد صلاح سالم نجم

مدرس البلاغة والنقد

في كلية اللغة العربية بالمنوفية

بلاغة الإقناع في مناظرات الشيخ عبدالمتعال الصعيدي ت ١٩٦٦م ضد المستشرقين

محمد صلاح سالم نجم
قسم البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية بالمنوفية، جامعة الأزهر- جمهورية مصر العربية.
البريد الإلكتروني: mohamed negm.lan@azhar.edu.eg

ملخص البحث: يتناول البحث موضوعاً بلاغياً يتعلق بالإقناع في مناظرات الشيخ عبدالمتعال الصعيدي ت١٩٦٦م ضد الفكر الاستشراقي، وقد حاولت من خلال الدراسة إظهار بعض أساليب الإقناع البلاغي المتعلقة بالمتكلم، والمخاطب، والنص، ونتج عن تلك المحاولة التوصل إلي أن صدق المتكلم، والإبانة عن حجته، وفصاحة منطقه، وكذلك حكم المخاطب على الكلام الملقى عليه، والتسليم به من أهم وسائل الإقناع، وقد أقمت البحث على مقدمة، وتمهيد ، وثلاثة مباحث وخاتمة، وركزت في المباحث على بيان الخصائص البلاغية الإقناعية من خلال مقدمة المناظرات وخاتمتها، والحوار الإنشائي المبني على السؤال والجواب، والأسلوب الخبري الذي يعطي المتكلم فرصة البيان عن حظ النفس مما تريد، ولا يغيب عن البال أن مناقشة الفكر المعادي للإسلام يتطلب الحاجة إلي تعدد أساليب الإقناع ليرضي بالتسليم والإقتناع، وهذا ما قام به الشيخ عبدالمتعال الصعيدي في مناقشة الأفكار الخاطئة عن الإسلام.

الكلمات المفتاحية: الإقناع. المناظرات. الشيخ عبدالمتعال الصعيدي. المستشرقون- البلاغة.

The rhetoric of persuasion in the debates of Sheikh Abdul-Mutaal Al-Saidi, born in 1966 AD against the Orientalists

Mohamed Salah Salem Negm
Lecturer of rhetoric and criticism at the College of Arabic Language in Menoufia
Email: Mohamed negm.lan@ azhar.edu.eg

Abstract: The research deals with a rhetorical topic related to persuasion in the debates of Sheikh Abdul-Mutaal Al-Saidi in 1966 CE against Orientalist thought. Through the study, I tried to show some methods of rhetorical persuasion related to the speaker, the addressee, and the text. Likewise, the judgment of the addressee on the speech given to him, and acknowledging it is one of the most important means of persuasion, and I have based the research on an introduction, an introduction, three discussions and a conclusion. Which gives the speaker the opportunity to explain the self-fortune of what it wants, and it is not forgotten that discussing anti-Islamic thought requires the need for multiple methods of persuasion to satisfy the surrender and conviction, and this is what Sheikh Abdul-Mutaal Al-Saidi did in discussing wrong ideas about Islam.

Key words: persuasion. Debates. Sheikh Abdul Mutaal Al-Saidi. Orientalists - rhetoric.

المقدمة

أحمد الله تعالى الذي هدانا إلي دينه القويم، وأنعم علينا بالقرآن الكريم، وأصلى وأسلم على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين.

وبعد

فإن إقناع المخاطب، والتأثير فيه، من أهم أهداف البيان منظوماً كان أو منثوراً، وصدق المتكلم وتأثره ببيانه يجعله خليقاً أن ينتج أدباً يفرض فرضاً على المتلقي أن يسلم ويذعن لما يسمعه، ومن رجال الأزهر الشريف الذي نجحت كتاباته الأدبية في انفعال المتلقي بأسئلته، وتفاعله مع إجاباته الشيخ عبدالمتعال الصعيدي ت١٩٦٦م، وقد أسهم الشيخ في التأليف اللغوي، والنقدي، والإسلامي، والفلسفي، ومن أهم كتاباته في المجال الإسلامي كتاب: لماذا أنا مسلم؟ وقد أصدرته مجلة الأزهر هديةً ضمن عددها الصادر في جمادى الأولى ١٤٣٥هـ، وقد اعتمدت عليه في البحث، وهو مؤلف عظيم النفع؛ لاحتوائه على عشرين مناظرة افترض الشيخ حوارها بين شاب مسلم تثقف بثقافة الإسلام، ورئيس المبشرين المسيحيين في الشرق الأوسط وهو: صمويل زويمر.

وناقش الشيخ من خلال تلك المناظرات الفكر الاستشراقي، وشبهاته حول قضايا الإسلام مثل: أصوله العقدية، والتشريعية، وقضايا المرأة، والعلم والفلسفة، وجميع المعاني التي ناقشها الشيخ مبناها على حوار دار بين اثنين أحدهما: سائل، والآخر: مجيب، وبين السؤال والجواب أدوات ووسائل إقناعية منها: ما يتعلق بالمتكلم، ومنها: ما يتعلق بالمخاطب، ومنها: ما يتعلق بأسلوب المناظرات، وتسعى الدراسة إلي تحقيق هدف منشود، وهو: الوقوف على وسائل الإقناع التي رد بها الشيخ شبهات المستشرقين.

ولما كانت مناظرات الشيخ الافتراضية لها طابع خاص، من حيث طولها، وتعددها في كل المجالات، وبناؤها على ما يشبه القصة من ذكرٍ للشخصيات، والأحداث، والحوار، والعقدة، والحل، وكان لها مقدمة، وموضوع

وخاتمة، وكل ذلك يبني على السؤال والجواب، لم أذكر نصوص المناظرات كاملاً، بل اتجه الاهتمام إلي الوقوف على الخصائص البلاغية في بداية المناظرات، وختامها، وطابع الأسئلة في المناظرات، وما يمتاز به الأسلوب الخبري في إقناع المستشرقين المجادلين، وليست هذه هي كل وسائل الإقناع البلاغي، ولكنها الأبين، والأوضح فيما أراه، ومن أهم الدراسات التي أفدت منها في البحث كتاب/بلاغة الإقناع في المناظرة للدكتور/عبداللطيف عادل، وفي بلاغة الخطاب الإقناعي للدكتور/ محمد العمري.

وبان لي من خلال القراءة دوافع للبحث في هذا الموضوع من أهمها:

١ـ الإبانة عن هموم الشيخ عبدالمتعال الصعيدي تجاه ما يرمى به دينه القويم من أباطيل.

٢. النظر فيما أبدعه من مناظرات افتراضية منسوجة من وحي الخيال الأدبي.

٣. إظهار الأساليب البلاغية الإقناعية الإمتاعية التي رصد بها الشيخ المزاعم الاستشراقية الباطلة.

وقد تكون البحث من مقدمة وتمهيد، وثلاثة مباحث وخاتمة، وفهارس.

تحدثت في المقدمة عن الموضوع وأهميته ودوافع اختياره، ومنهج البحث فيه، وخطته.

وجاء التمهيد بعنوان: حول مفهوم المناظرة، وبلاغة الإقناع عند الشيخ الصعيدي.

ومباحث الدراسة جاءت على النحو الآتي:

الأول: بلاغة المناظرات بين الابتداء والانتهاء.

الثاني: بلاغة أسلوب الاستفهام في رد شبهات الفكر الغربي.

الثالث: بلاغة الأسلوب الخبري في رد شبهات الفكر الغربي.

واشتملت الخاتمة على أهم نتائج الدراسة، وأعقبتها بفهرس تفصيلي لمحتوياتها، فإن وفقت فذلك من فضل الله تعالى علىَّ، وإن أخفقت فالله أسأل أن يسامحنى، ويردني إلي دينه رداً جميلاً إنه سميع قريب.

التمهيد

حول مفهوم المناظرة، وبلاغة الإقناع عند الشيخ الصعيدي

المحور الأول

المناظرة، وطرفاها

المناظرة في لغة العرب مشتقة من النظر، وهو تأمل الشيء ومعاينته كما يقول ابن فارس ت٣٩٥هـ [١]، ويقول ابن منظور:(والمناظرة، والنظير: المثل...ويقال ناظرت فلاناً أي صرت نظيراً له في المخاطبة، وناظرت فلاناً بفلان أي جعلته نظيراً له)[٢].

وعرفها طاشكبري زاده ت ٩٦٨هـ . رحمه الله . فقال: (اعلم أن المناظرة: هي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب)[٣]وتعني اصطلاحاً . كذلك . :(تردد الكلام بين شخصين يقصد كل منهما تصحيح قوله، وإبطال قول صاحبه، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق)[٤]، ولما كانت المناظرة لا تكون إلا بين طرفين حقيقة أو افتراضاً يحسن أن أشير إلي المتناظرين .

شذرات موجزة عن المتناظرين:

(أ) . الشيخ عبدالمتعال الصعيدي ت ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م .

---

(١) . مقاييس اللغة لأحمد ابن فارس ت٣٩٥هـ . تح/ عبدالسلام هارون . دار الفكر للطباعة والنشر . مادة (نظر)

(٢) . لسان العرب لابن منظور . تح / عبدالله الكبير وآخرون . دار المعارف . مادة (نظر)

(٣) . رسالة الاداب في علم آداب البحث والمناظرة . عصام الدين أبي الخير أحمد بن مصطفي بن خليل المعروف بطاشكبرى زاده ت ٩٦٨هـ . تح: حايف النبهان : ٢٦ . دار الظاهرية بالكويت . ط/ الأولى ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م

(٤) . رسالة الآداب في علم آداب البحث والمناظرة . تأليف الشيخ/ محمد محيي الدين عبدالحميد صـ ٦٣٣

الاسم والنسب: هو الشيخ (عبدالمتعال عبدالوهاب أحمد عبدالهادي الصعيدي م١٣١١. ت ١٣٨٦هـ ١٨٩٤م. ت ١٩٦٦م)[١]

المولد، والنشأة: (ولد بكفر النجباء مركز أجا بمحافظة الدقهلية، في أسرة بسيطة الحال...، وكان والده مزارعاً يجيد القراءة والكتابة، وحافظاً لكتاب الله، وقد توفي عقب ولادة شيخنا بشهرٍ، ولما بلغ التاسعة التحق بكتاب القرية النظامي...ثم انتقل من الكتاب إلي إحدى المدارس الأولية...ثم إلي المدارس الابتدائية النظامية، ثم الجامع الأحمدي بطنطا، وفي سنة١٣٣٦هـ ١٩١٨م اجتاز بالقاهرة الشهادة العالمية، وعقب تخرجه عين مدرساً بالجامع الأحمدي بطنطا، وفي سنة ١٣٥١هـ١٩٣٢م نقل للتدريس بكلية اللغة العربية بالقاهرة)[٢]

حياتـه الفكريـة: (كانت حياته كلها معركة فكرية ممتدة وخصبة، وحامية الوطيس ضد الجمود والتقليد داخل الأزهر وخارجه...وضد التغريب، والزندقة، والإلحاد،...وضد التنصير...وتفنيداً للشبهات التي احترف المنصرون توجيهها للإسلام)[٣]، ويبرهن كتابه: لماذا أنا مسلمٌ؟ عن حياته الفكرية التي كرسها نحو الدين الإسلامي مدافعاً عنه، ومبيناً لمزاياه، وتلك كانت قضيته التي لم يتهاون في تحقيقها، وقد كان عصره مليئاً بمزاعم المستشرقين الباطلة ضد الإسلام، فقام بالمنافحة عن دينه في كتاباته، ومناظراته التي نحن بصددها.

(ب). صمويل زويمر (م١٨٦٧. ت ١٩٥٢م)

صمويل زويمر واحدٌ من المستشرقين الذين أفنوا عمرهم في العمل على هدم الدين الإسلامي، وأخذ في تحقيق ذلك كل سبيل، فدرس، وحقق،

(١) . تجديد الأصول الإسلامية في فكر الشيخ عبدالمتعال الصعيدي . د/ عصمت نصار صـ : ٢٩ . ط/ وزارة الثقافة . الثالثة ١٤٣٨هـ ٢٠١٧م

(٢) . السابق : نفس الصفحة

(٣) . مقدمة د/ محمد عمارة لكتاب : لماذا أنا مسلم؟ للشيخ عبدالمتعال الصعيدي صـ ٤ . هدية مجلة الأزهر . جمادي الأولى ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م

وجمع، وألف، وقام بجهدٍ بالغٍ في(حركة التغريب بوصفه رئيسًا للمبشرين في الشرق الأوسط منذ أوائل هذا القرن، وأجرأ الدعاة المقاومين للفكر الإسلامي، والرجل الذي استطاع أن يقتحم الأزهر، ويوزع منشوراته، وقد أتيح له أن يطوف بالصين، والهند، وأفريقيا والهند، والصحراء، ومدغشقر، وأن يكتب دراسات مطولة عن البعثات التبشيرية والإرساليات في هذه المناطق، وكيف تحاول أن تنافس الإسلام وتقضي عليه، وقد رأس مؤتمرات التبشير التي عقدت في القاهرة ولكنؤ (الهند) والقدس، وأدلى فيها بتقارير ضافية عن الخطوات التي حققتها محاولته في تغريب العالم الإسلامي ونزع مقومات فكره عن طريق التعليم والصحافة والمستشفى)[١].

(١) . أعلام وأقزام في ميزان الإسلام . جمع وترتيب/ أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله العفاني : ٢/ ٤٤١. الناشر/ دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، جدة – السعودية . الطبعة/ الأولى١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م

المحور الثاني

الوسائل الإقناعية في مناظرات الشيخ الصعيدي

ناقش الشيخ عبدالمتعال الصعيدي . رحمه الله . الفكر الاستشراقي، من خلال مناظراته الافتراضية، ولما كان الشيخ هو منتج الإقناع حاول من خلال الحوار الذي بنى عليه المناظرات أن يعدد وسائل الإقناع؛ لأنها تتعلق فيما أرى بعناصر ثلاثة: الأول :المتكلم، والمخاطب، والنص.

الوسائل الإقناعية للمتكلم في المناظرات

المتكلم في المناظرات هو الشيخ الصعيدي، ولزاما عليه إذا أراد أن يقنع المخاطب بفكرته أن يعرف صفات المخاطب، ويتعامل معها بما يؤثر فيها، والمخاطب في المناظرات مستشرق، ويقتضي الأمر حين مناظرته أن يكون الكلام مشفوعا بالأدلة العقلية والنقلية، ولذلك فإن وسائل الإقناع لدي المتكلم هي:

صدق المتكلم أولاً فيما يقول، ومعرفته بصفات المخاطبين، والإفصاح عن الأدلة، والإبانة عن الحجة الواضحة، وفصاحة لسانه، وبلاغة منطقه، ومطابقة الكلام لمقتضى الحال، والإيجاز عن المطلوب، والإطناب فيه إن استدعاه المقام.

واتسم الشيخ بمراعاة تلك الوسائل حين مناقشة الفكر الاستشراقي، ومن ذلك أنه حينما عرض شبهته **حول أصول الإسلام وفروعه** قائلاً على لسان القس صمويل زويمر: (قل لي يا محمد: لماذا أنت مسلم؟ وقد هان عليكم أمر الإسلام هذا الهوان؟ وتساهلتم في العمل بفروعه هذا التساهل؟)[1] اتسم جوابه بالإطناب؛ وذلك لأن السائل في موضع المنكر على المسلمين ما هم فيه، وهذا يستدعي أن يفصح المتكلم عن حجته، ويظهر أدلته بمنطق بليغ، ولسان فصيح، ولهذا استغرق جوابه أربع مناظرات تحدث فيها عن أصول

(١) . لماذا أنت مسلم؟ : ٢٧

الإسلام فقال: (نعم أيها القس الفاضل: سأبين لك لماذا أنا مسلم؟ ولماذا نصر على إسلامنا بعد أن فرطنا في العمل بفروعه هذا التفريط؟ وأبين لك قوة الأصول الإسلامية التي تجعل المسلمين يصرون عليها هذا الإصرار العجيب، مع تفريطهم في العمل بفروعها...) والأصول الإسلامية التي أفصح عنها خمسة هي: التوحيد، والتصديق بجميع الرسل، وجلب المصلحة ودفع المفسدة، ومراعاة الزمان والمكان، والتوسط بين الإفراط والتفريط، والحديث عنها يطول جداً؛ وذلك لأن المقام يستدعيه، وهذا يحمل المنكِر على الرضا والتسليم والإقتناع.

ومناقشة الأفكار تتطلب بيان المزايا والسمات، وتلك وسيلة إقناعية يحرص عليها المتكلم ليؤثر في المخاطب، وفي عرض الشيخ لبيان الأصول الإسلامية عرض للديانة اليهودية والنصرانية، وبين مغالاة أهلها لأنبيائهم، فذكر أن اليهود والنصارى غالوا في شأن سيدنا عيسى . عليه السلام . (فقال اليهود: إنه ابن زنا، وقال النصارى إنه ابن الله تعالى، أما المسلمون فيقولون: إنه روح الله وكلمته ألقاها إلي مريم . عليها السلام .، وهو عبد الله كسائر عباده، ورسوله كسائر رسله وولادته من غير أب كخلق آدم عليه السلام من تراب كما قال تعالى في سورة (آل عمران:٥٩):" إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ")[١]

فنراه هنا بين مزية الإسلام في نظره إلي سيدنا عيسى . عليه السلام .، وأبان عن حجته ودليله القرآني ليقنع المخاطب، كما نراه . كذلك . واضح الدلالة في الإفصاح عن رأيه حول تأويل اللفظ القرآني (ابن الله) بمعنى أنها بنوة محبة، وليست بنوة حقيقية استناداً إلي أدلة أسلوبية في القرآن كالتورية، فيقول: (وقد ذكر بعض المبشرين المسيحيين في رسالة صغيرة أن بنوة المسيح لله بنوة محبة، وهذه البنوة لا ينازع فيها الإسلام، ولا ينكر أن يكون

(١) . السابق : ٣٦

المسيح ابن الله بمعنى حبيبه، وقد جاء في القرآن الكريم كثير من هذه الألفاظ المتشابهة، فأولها المسلمون بسهولة على ما يوافق في العقل كمال الله تعالى مثل قوله تعالى: " ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ " طه:٥) (١)

وتوجد وسائل إقناعية تتعلق بالمخاطب في المناظرات منها :

أحكامه على الكلام الملقى عليه، كما في قول المستشرق صمويل زويمر: (إني أوافقك يا محمد على أن هذا يجب أن يكون موقف الدين من العلم والفلسفة)(٢)، يعنى أنه لا تعارض بينهما البتة، ومن هذ أيضاً قوله: (يا محمد: هذا جميل جداً منك)(٣)، وقوله: (هذا يا محمد فهم جديد منك لهذه القصة، ولم أره لأحد قبلك من علمائكم)(٤).

ومنها . كذلك . التسليم بالهزيمة والانكسار حين لا يقتدر على الجدال، ومن أدلة ذلك قول صمويل زويمر: (قد بلغت مني يا محمد ما بلغت، وليتني لم أجتمع بك، ولم أفتح باب الجدال معك، فسأحيا بعد هذا منغص العيش، مشتت الفكر، وإني يا بني رئيس هؤلاء المبشرين بدياركم، ولنا غايات سياسية نعمل لها، وهذه الغايات الدينية ليست عندنا إلا وسيلة لهذه الغايات)(٥). وبهذا بينت هذه الأحكام الحالة النفسية التي عليها المناظَر، أو المخاطب الفعلي عند الشيخ الصعيدي، وأنه وضع في مكانه اللائق به وهو مكان الرضا والتسليم.

وأخيراً أتحدث عن وسائل الإقناع فيما يتعلق بالنص، وأعني بالنص هنا مناظرات الصعيدي الافتراضية، ومن أهم وسائل الإقناع فيها أنها **أثبتت حقائق واقعية** حدثت في مصر في أوائل القرن العشرين، ومن أهم هذه

(١) . السابق : ٣٧
(٢) . السابق : ٨٧
(٣) . السابق: ٧٤
(٤) . السابق: ١٠٣
(٥) . السابق: ١٣٨

الحقائق والأحداث الواقعية رصد شبهات الفكر الاستشراقي الذي قام بإنشاء مؤسسات تدعو إلي العلمانية(١)، وإحلال العامية محل الفصحى(٢)،والأخذ بالمذاهب والفلسفات المادية الغربية على أنها أساس التقدم والتحضر(٣).

ويضاف إلي تلك الوسيلة وسيلة أخرى تتعلق بأسلوب المناظرات ولغتها، فلغتها خطابية إقناعية تعتمد على الشواهد للاستدلال على صحة المقال، ولهذا يدرك من يقرأ المناظرات أن الشاهد القرآني نال حظاً وافراً من

(١) . العلمانية تعنى : " فصل الدين عن الدولة، أو بمعنى آخر : لا سياسة في الدين بل الدين لله والوطن للجميع " وهو مفهومٌ غربيٌ يضاد الإسلام إذ ينادي بنبذ الدين، وترك العقيدة، والتمسك بكل ما هو دنيويٌ، ويمت بصلة للمحسوس... وهذا هو السائد في أوربا . ينظر: موقف مفكري المسلمين من المستشرقين . د/ عبد المعبود مصطفى سالم صـ ٣٤، ٩٥

(٢) . إن إحلال العامية محل اللغة العربية الفصحى وتقنين ذلك ما هو إلا (وسيلة من وسائل التعدي الشرس على حرمة الفصحى وحماها، وهذا يفضي بالطبع على طمس لغة القرآن والحديث وآثار الصحابة والتابعين، فنصبح أمة منقطعة الجذور، مفككة العرى، ضالة سواء السبيل، وآية ذلك أن الذي حمل لواء ذلك هم مستشرقون، وبعض من النصارى ذوى الخبث والدهاء مثل المستشرق الألماني : ولهلم سبيتا " ١٨١٨ . ١٨٨٣م " ، وقد كان موظفاً بدار الكتب المصرية، وخالط جماهير الشعب المصري، ثم خرج على الناس بكتاب أسماه : قواعد اللغة العامية في مصر ، ومن أخبث الرؤوس التي حملت كبر هذه الدعوة في الصحافة المصرية الصليبي الماركسي سلامة موسى) .ينظر : علم اللغة العام د/ عبدالصبور شاهين صـ ٢٦٩، ٢٨٠ . ط/ مؤسسة الرسالة بيروت . الثالثة ١٩٨٠م، والنحو العربي بين الصناعة والمعنى د/ عبدالفتاح حبيب صـ ٣ . ط/ الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٩م .

(٣) . المذاهب والفلسفات الغربية المادية تنادي بالفكر المفتوح، وتحارب الدين في قداسته، وتتهم القرآن بالخرافة، وسجلت العتاب الذي وجه من الله لرسوله . صلى الله عليه وسلم . في غير آيةٍ ، كما سجلت اتهام المعارضين له، ووصفهم إياه بالسحر والجنون والكذب، وغير ذلك مما من شأنه أن يعرضه لقلة الشأن في الإنسانية . ينظر في تفصيل تهافت هذه الآراء : تهافت الفكر المادي التاريخي بين النظرية والتطبيق . د/ محمد البهي صـ ٥، ٦ . منشورات المجلس الأعلى لشئون الإسلامية . العدد : ١٨٣ عام ١٤٣١هـ ٢٠١٠م

استدلالاته، ويليه الحديث الشريف[١]، والأثر[٢]، والشعر[٣]، ولا يخفى أن الشواهد على اختلاف أنواعها سبيل من سبل الإقناع؛ لأنها(حجج جاهزة تكتسب قوتها من مصدرها، ومن مصادقة الناس عليها، وتواترها) [٤].

هذه أهم الوسائل الإقناعية في مناظرات الشيخ الصعيدي، وهو يناقش الفكر الاستشراقي، وفيما يلي انعطاف إلي بيان الخصائص البلاغية في المناظرات من خلال النظر في بداية المناظرات ونهايتها، والاستفهام المبني الحوار الثنائي، والأسلوب الخبري الذي يمكن المتكلم من قضاء حظ النفس مما تريد.

(١) . ينظر السابق صـ : ٤٠، ٤٥، ٥٤، ٥٩، ٨٤، ١٢١

(٢) . ينظر : السابق : ٨٩

(٣) . ينظر : السابق : ١٩ ، ٤٥

(٤) . في بلاغة الخطاب الإقناعي د/ محمد العمري : ٩٠ . الناشر/ أفريقيا الشرق ببيروت . ط/ الثانية ٢٠٠٢م

المبحث الأول

بلاغة المناظرات بين الابتداء والانتهاء

يحاول هذا المبحث إماطة اللثام عن بلاغة المناظرات التي افترضها الشيخ الصعيدي من وحي خياله، ونسجها بتعبيره الأدبي، وحسه الإسلامي، وسيقف عند بدايات المناظرات، وكيف استهلها الشيخ، وكيف أنهاها ليتأكد للمتلقي دقة الأداء الحواري الذي نسجت به المناظرات، وينبغي أن نوطئ للحديث عن ذلك بما ذكره البلاغيون حول الابتداءات والخواتيم ليتعرف المتلقي على الأوصاف التي يجب مراعاتها أثناء الكلام .

يقول الخطيب القزويني: (ينبغي للمتكلم أن يتأنق في ثلاثة مواضع من كلامه حتى تكون أعذب لفظاً، وأحسن سبكاً، وأصح معنى. الأول: الابتداء...، والثاني: التخلص...، والثالث: الانتهاء)[١]، وهنا نلاحظ أن الخطيب . رحمه الله . ربط هذه المواضع الثلاثة بقضية أدبية نقدية، ألا وهي: قضية عمود الشعر التي ذكرها المرزوقي في شرحه لديوان الحماسة لأبي تمام[٢]، وأرى أن المواضع الثلاثة لا تكون مطابقة لمقتضى الحال إذا انفصلت عن تلك القضية الأدبية النقدية، أو خلت مفرداتها، وتراكيبها من الأوصاف الثلاثة التي عول عليها الخطيب، وهي:

١ . عذوبة اللفظ

٢. حسن السبك

٣ . صحة المعنى

---

(١) . تلخيص مفتاح العلوم للخطيب القزويني . ضمن شروح التلخيص : ٤/ ٥٢٩ . ٥٤٣ . مطبعة الحلبي

(٢) . شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ت٤٢١هـ . تح/أحمد أمين، وعبدالسلام هارون (٩/١) الناشر/ دار الجيل بيروت . ط/الأولى١٤١١هـ ١٩٩١م .

وفسر العلامة سعد الدين التفتازاني عذوبة اللفظ فقال: (أن تكون . أي الألفاظ . في غاية البعد عن الغرابة والثقل)[١] وأورد الدسوقي . رحمه الله . إشكالاً على السعد بأنه كان ينبغي عليه أن يزيد الغاية في البعد عن مخالفة القياس، ففي كلامه قصور، وأجيب بأن الباء في قوله: (بأن تكون) بمعنى الكاف كما وقع ذلك في كلام كثير من الأفاضل كالنووي[٢] .

وفسر السعد . أيضاً . حسن السبك بقوله: (بأن تكون . أي: الألفاظ . في غاية البعد عن التعقيد، والتقديم والتأخير الملبس، وأن تكون الألفاظ متقاربة في الجزالة والمتانة والرقة والسلاسة، وتكون المعاني مناسبة لألفاظها)[٣]

كما فسر صحة المعنى بقوله: (بأن يسلم من التناقض والامتناع والابتذال، ومخالفة العرف، ونحو ذلك)[٤] ولما كان الشيخ عبد المتعال الصعيدي بصيراً بهذه الأوصاف الثلاثة، وموقناً أنه لا بد من مراعاتها في استهلال الكلام رأيناه يطبقها في مناظراته الافتراضية التي أظهرت علو كعبه في التعبير الأدبي.

سمت بداية المناظرات

الابتداء هو أول المواضع التي يجب على المتكلم أن يتأنق فيها، لأنه يترتب على عذوبة مفرداتها، وحسن سبك تراكيبها، وصحة معناها إصغاء السامع لما يتأتى بعد الابتداء من كلام، حتى وإن خلا من البلاغة، وهذا **مقياس تجريبي** صرح به ابن يعقوب المغربي حين قال: (وإلا يكن الابتداء حسن السبك عذباً صحيح المعنى نافره السمع بالمقابلة الأولى فيعرض عنه

(١) ـ مختصر السعد على تلخيص المفتاح . ضمن شروح التلخيص : ٤/ ٥٢٩ . مطبعة الحلبي

(٢) . حاشية الدسوقي على مختصر السعد . ضمن شروح التلخيص : ٤/ ٥٢٩ ـ مطبعة الحلبي

(٣) . مختصر السعد على تلخيص المفتاح : ٤/ ٥٣٠ . مطبعة الحلبي

(٤) . السابق : ٤/ ٥٣٠

جملةً، وإن كان الباقي من الكلام حسناً؛ لأن السمع قاطعاه الابتداء القبيح، وهذا أمر تجريبيٌ)(١)، وهنا . أيضا . نلاحظ أن عامل الخبرة التجريبية يعد مقياساً من المقاييس البلاغية التي يقاس بها بلاغة الكلام.

ومن خلال الاستقصاء والإحصاء لبدء وختام مناظرات الشيخ عبدالمتعال الصعيدي ضد المستشرقين تبين للباحث أن ابتداء المناظرات مناسب للموضوع، ولذا تعد من باب (براعة الاستهلال)[٢] ومناسبة المقدمة للموضوع تحصل(باشتمال الابتداء على ما يشعر في الجملة بما سيق الكلام من أجله، فإذا سيق مثلاً لبيان علم من العلوم كالفقه فاشتمال ابتدائه على ما يشعر بأحوال المكلفين وأحكامها هو من أحسن الابتداء)[٣]

وقد أتت مقدمات المناظرات في غاية البراعة حيث كان يمهد الشيخ قبل توجيه الأسئلة من القس صموئيل زويمر المرموز إليه بالحرف " ز" إلي الفتى المسلم: محمد مختار بسطرين أو ثلاثة، وينص في هذا التمهيد على أمور خمسة هي: **كلمة مناظرة . طرفاها . مكانها . الجمهور المستمع . موضوع المناظرة على سبيل الإجمال.**

وهذه الأمور الخمسة لم تخل منها مقدمة من المناظرات العشرين التي نسجت نسجًا سردياً يكشف عن أدبية الشيخ الصعيدي التي تمتع بها أسلوبه، وقد ناسبت تلك المقدمات أيما مناسبةٍ، وجدير بالذكر أن أسوق إلي المتلقي الكريم نماذج من هذا الاستهلال البارع، فمن ذلك قوله: (جاء ميعاد المناظرة الثانية، وذهب محمد وأصحابه إلي دار المبشرين، فوجدوا الحجرة قد ازدحمت بالجالسين فيها، وكلهم يرتقب حضوره لسماع هذه المناظرة الخطيرة، وقد

(١) . مواهب الفتاح على مختصر السعد . ضمن شروح التلخيص : ٤/ ٥٣١ . مطبعة الحلبي

(٢) . براعة الاستهلال هو الابتداء المناسب للمقصود . ينظر : تلخيص المفتاح . ضمن شروح التلخيص : ٤/ ٥٣٣

(٣) . مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي : ٤/ ٥٣٣

أخذهم بالأمس بهدوئه، وحسن تفكيره، وسحرهم بأدبه، وقوة منطقه، ثم صعد هو والقس إلي المكان المعد لهما، وكانا قد انتهيا في المناظرة الأولى من الكلام على الأصل الأول من أصول الإسلام، فأخذا يتناظران في الأصل الثاني)[١] .

ومن النماذج الأخرى . كذلك . قوله: (ذهب محمد إلي دار المبشرين في ميعاد المناظرة التاسعة، فوجد القس "ز" ينتظره فيها، ثم قامت بينهما هذه المناظرة. القس: يا محمد لا يكفي في معجزة القرآن أن يُعجز العرب ببلاغة أسلوبه، وحسن تأليفه، بل لابد مع هذا أن يكون بحيث لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كما جاء في بعض سوره، فلا يصح إذا كان من عند الله أن يكون فيه اختلاف في شيءٍ من الأشياء، أو أن يكون فيه غلطٌ في ذكر تاريخٍ، أو في نسبٍ، أو في غير هذا مما جاء فيه)[٢]

سمت نهاية المناظرات

يمثل الختام الذي كان يختم به الشيخ عبد المتعال مناظراته ضد توجهات المستشرقين وآرائهم المبثوثة على أسماع العامة والخاصة آنذاك نقطة فارقة دالة على الأبعاد الافتراضية المتوقعة ممن يسمع أجوبته على الآراء الغربية من حيث قبولها، أو رفضها، ولعل وعي الشيخ بما يدور في خلد المستشرقين ساقه إلي أن يخالف بين ختام مناظراته مراعياً تناسبها مع موضوع المناظرة، ومن هنا وجدنا أن ختام المناظرات تميز بميزات بلاغية يمكن من خلالها تأسيس نظم للحوار القصصي، أو السرد القصصي الذي تميزت به مناظرات الشيخ . رحمه الله . .

وأول ما تمتاز به خاتمة المناظرات: **مراعاة حال** المتلقين " الجمهور الحضور"، **وتلبية رغبتهم في انتهاء المناظرة**

(١) . لماذا أنا مسلم : ٣٤

(٢) . السابق : ٦٩

إن إصغاء المتكلم للمستمع، وتلبية رغبته في مواصلة الحديث أو قطعه أمر ضروري يجب على المتحدث أن يفطن إليه، ولا يفطن له إلا البلغاء، ومن ثم ساق الجاحظ . رحمه الله أقوالاً يستلهم منها القارئ بعض صفات التعبير الجميل، منها أن: (مطرّف بن عبد الله يقول: «لا تطعم طعامك من لا يشتهيه» . والمعنى: لا تقبل بحديثك على ما لا يقبل عليه بوجهه.

وقال سيدنا عبد الله بن مسعود . ﷺ -: «حدّث الناس ما حدجوك بأبصارهم، وأذنوا لك بأسماعهم، ولحظوك بأبصارهم، وإذا رأيت منهم فترة فأمسك)[١]

وهذا الذي ساقه الجاحظ . رحمه الله . كان منبعاً ثراً أفاد منه الشيخ عبدالمتعال حيث راعي حال المستمعين في مناظراته، على الرغم من أنهم ليسوا طرفاً فاعلاً في الحوار، بل هم مجرد مستمعون للطرفين المتناظرين فحسب، وطلبهم منهما قطع الحديث يشكل في وعي المتحدث الإحاطة التامة بالجو الذي يلقي فيه الحديث، ومن نماذج إجابة الشيخ لهذا الطلب ما جاء في ختام المناظرة الأولى التي دارت حول بيان عداوة اليهود والنصارى للإسلام ، وبين الشيخ لهم أن التوحيد أصلٌ اشتركت فيه كل الأديان.

يقول الشيخ: (وهاهنا كان الحاضرون قد طالت عليهم هذه المناظرة، فطلبوا من المتناظرين أن يكتفيا هذا اليوم بهذا القدر من المناظرة، ثم يعودا إليها غداً في الوقت الذي بدأت فيه هذه المناظرة ، فأجابهم المتناظران إلي ما طلبوا، وانصرفوا جميعاً على أن يعودا إلي المناظرة غداً)[٢]

وتتضح تلك السمة . كذلك . في ختام المناظرة الثالثة التي دارت أحداثها حول الأصل الثالث من أصول الإسلام، ألا وهو: جلب المصلحة،

(١) ـ البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ت ٢٥٥هـ . تح/ عبدالسلام هارون : ١٠٥/١

(٢) . لماذا أنا مسلم : ٣٣

ودفع المفسدة ، فيقول الشيخ: (وكانت هذه المناظرة يوم أحدٍ، فلم يشأ أصحاب الدار إن يطيلوها إلي أكثر من هذا الزمن، فانتهت عند هذا الحد، وأجل الاجتماع إلي المناظرة الرابعة في ميعادها من يوم الاثنين)[١].

ومن خلال النموذجين السابقين يتضح أن **المتلقي هو المتحكم في لغة الحوار**، وأن لغة الطلب لوقف الكلام لم تسر على نمطٍ واحدٍ، بل تنوعت إلي **طلبٍ صريح** كما في النموذج الأول: (وهاهنا كان الحاضرون قد طالت عليهم هذه المناظرة، **فطلبوا** من المتناظرين أن يكتفيا هذا اليوم بهذا القدر من المناظرة إلخ)، وإلي **طلب ضمني** كما في النموذج الثاني: (فلم يشأ أصحاب الدار إن يطيلوها إلي أكثر من هذا الزمن)، والسؤال . هنا . لماذا أجاب الشيخ الصعيدي طلب المتلقين، ولبى رغبتهم في قطع الكلام، والجواب هو: أن الشيخ له فهم جيد بأحوال المتلقي، حيث لو استمر في الحوار ، ولم يجب لأصبح ما يقوله لغواً (واللغو باطلٌ مخل بالبلاغة)[٢].

ومن هنا نستفيد أن **الاقتصار على قدر الحاجة مقياس من مقاييس بلاغة المتكلم**، وأن (طبيعة المتحدث أو ثقافته لها تأثيرٌ ينبغي أن يراعى، وطبيعة المستمعين لها شروطٌ وميولٌ وضروراتٌ ينبغي أن تكون في اعتبار المتحدث، ولموضوع الحديث حدودٌ وآدابٌ لا مهرب من الالتزام بها)[٣] .

٢ . وثاني ما امتازت به خاتمة مناظرات الشيخ الصعيدي هو: **مراعاة حال أحد طرفي المناظرة**

إن الانفتاح على الآخر ينبغي أن يراعى فيه سعة الصدر، والقبول لكل ما يصدر من الجانب الآخر سلباً أو إيجاباً، وقد اتسمت بعض خواتيم الشيخ الصعيدي لمناظراته الافتراضية ضد المستشرقين في شخص القس " ز"

(١) . السابق : ٤٢

(٢) . مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي : ١/ ٢٠٢

(٣) . أصول النظرية البلاغية . د/ محمد حسن عبدالله صـ : ١٦ . مكتبة وهبة بالقاهرة . ط/ الثانية ١٤١٦هـ ١٩٩٦م

بمراعاة **حال الطرف الآخر**، وقبول عدم رغبته في استمرار الكلام، وتلك الطريقة من التعبير تعد . فيما أري . من باب إيجاز القصر الذي يطوي تحته بسطاً وشرحاً لحال المناظر الذي طلب قطع الكلام، وكأن الشيخ الصعيدي يوضح أمارة من أمارات المغالبة المبنية على الدراسة والوعى المتكامل بموضوع المناظرة، وكأن طلب أحد المتناظرين إرجاء الحوار إلي غدٍ مثلاً تسليمٌ منه . فيما أرى . بعدم القدرة على الوقوف أمام الحجج والبراهين الساطعة الصحيحة.

ومن أدلة ذلك قول الشيخ في نهاية المناظرة الخامسة التي دارت أحداثها فيما يردده المستشرقون حول تعدد الزوجات في الإسلام، وأنه بذلك أجحف بها، وألحق بها ضرراً كبيراً، (وتناسوا أن ذلك كان مباحاً في الشرائع السابقة، وتناسوا . كذلك . أن حكم التعدد الإباحة وليس الوجوب)[١]، وبعد ذلك يقول الشيخ: (وقد رأى القس أن يرجئ الكلام فيما بقي عنده من تلك المؤاخذات إلي المناظرة السادسة، فانتهت بذلك هذه المناظرة)[٢].

ومما هو على تلك الشاكلة قوله في نهاية المناظرة السابعة: (وهنا طلب القس من محمدٍ أن يقف عند هذا الحد، ولم يعقب على ما قاله بكلمةٍ، ثم انصرف الحاضرون على أن يعودوا غداً لسماع المناظرة الثامنة)[٣].

وإجابة طلب الطرف المقابل للمناظرة فعلٌ حميدٌ يدل على احترام الذات المقابلة، وقد أشار البلاغيون إلي ضرورة الأخذ بهذا أثناء حديثهم عن الأسلوب الحكيم، وهو كما يعرف يبنى على طرفين مثل المناظرة تماماً إلا أنه يختلف عن المناظرة في أن السؤال فيه لا ينشأ عن جدالٍ، بل عن رغبة في العلم، ومن ثم يختلف الجواب، فجواب السؤال الجدلي، يختلف عن جواب السؤال التعليمي.

---

(١) . لماذا أنا مسلمٌ : ٤٩

(٢) . السابق : ٥٣

(٣) . السابق : ٥٩ ، وينظر نماذج أخرى صـ : ٦٤ ، ١٢٧ ، ١٣٣ ، ١٣٨

يقول الشيخ الدسوقي: (السؤال ضربان جدلي وتعليمي، والأول يجب أن يطابقه جوابه، والثاني يبني المجيب فيه جوابه على الأمر اللائق بحال السائل، كالطبيب يبني علاجه على حال المريض دون سؤاله، فتجوز المخالفة فيه)[١] .

وإجابة طلب الشيخ عبدالمتعال لرغبة القس في قطع الكلام إشارة منه إلي ترسيخ هذا الأمر في أعماق النفوس بمعنى: أنك أيها المسلم إذا كنت في مقامٍ جدليٍ مع خصم لك، وأردت مغالبته، فتساهل معه، ثم أرخ له العنان، ليس على سبيل الإقرار بما يقول، بل على سبيل التوبيخ والتبكيت، وانظر إلي ما ذكره علماؤنا في هذا الشأن عند خروج " إنْ " التي تدل على الشك في وقوع الحدث إلي مجيئها في مقام فرض وقوعه لأغراض متعددة، ونكت بلاغية تتعلق بالنظم القرآني، (ففرض المحال يكون لغرض من الأغراض كإرخاء العنان لإلزام الخصم)[٢] كما في قوله تعالى: " قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ"(الزخرف : ٨١) وهذا الآية الكريمة من شواهد المذهب الكلامي . كذلك . ومعنى: فأنا أول العابدين)أي(الموحدين لله تعالى النافين لذلك الولد، أو من المطيعين للك الولد لو كان لكنه لم يكن، فأعبد ربي وحده)[٣].

٣ . **الأمر الثالث الذي امتازت به مناظرات الشيخ هو النص على انتهاء المناظرة باللفظ الصريح، أو العادة، وهذا يعد من أبلغ النهايات وأحسنها .**

ليس بغريب أن تتضح تلك الميزة البلاغية في أدب الشيخ عبدالمتعال الصعيدي، ولم لا وهو البلاغي الحصيف الذي تربى على الذوق الفني العالي، وأفاد من الحواشي البلاغية التي تكثر فيها الطريقة الحوارية التعليمية، هذا وقد

(١) . حاشية الدسوقي على مختصر السعد . ضمن شروح التلخيص : ١/ ٤٨١
(٢) . مواهب الفتاح : ٤٥/٢
(٣) . السابق : ٢/ ٤٧

نص الخطيب القزويني . رحمه الله . على أن: (أحسن الانتهاء ما آذن بانتهاء الكلام)[١]، وأوضح الشيخ الدسوقي أن طريقي حسن الانتهاء إما (لفظٌ يدل بالوضع على الختم كلفظ " انتهى، أو تم، أو كمل، ومثل: ونسأله حسن الختام، وما أشبه ذلك " أو بالعادة كأن يكون مدلوله يفيد عرفاً أنه لا يؤتى بشيء بعده، ولا يبقى للنفس تشوف لغيره بعد ذلك مثل قولهم في آخر الرسائل والمكاتبات، والسلام ومثل: الدعاء، فإن العادة جارية بالختم به)[٢] .

هذا ما ذكره البلاغيون، وهو سمة من سمات خواتيم مناظرات الشيخ عبدالمتعال الافتراضية ضد المستشرقين، ويتضح ذلك في أكثر من مناظرة[٣]، ومن أدلة ذلك قوله: (وبهذا **انتهت** هذه المناظرة، فانصرف الناس على أن يحضروا لسماع المناظرة الحادية عشرة)[٤] . هذا هو ختام المناظرة العاشرة التي كانت امتداداً للمناظرة التاسعة فموضوعهما واحدٌ يدور حول معجزات سيدنا محمد ﷺ ، ففي المناظرة التاسعة ينفي المستشرقون أن يكون للمصطفى ـ ﷺ ـ معجزات كسائر الأنبياء السابقين، وبناءً عليه فرسالته مشكوكٌ في صحتها؛ لأنها لا تثبت إلا بالمعجزة، وهنا ينبري الشيخ عبدالمتعال في رده دون إيجاز في القول، بل في بسط وإطناب، ثم ينتقل من تلك المناظرة إلي التي تليها . وهي العاشرة . مباشرةً ؛ لاتصالها بها فهي تدور حول معجزة القرآن الكريم الخالدة، والمستشرقون يشككون في أحداثه التاريخية، وبالتالي فهو ليس ببليغ، ولا معجز، ويثور الشيخ الصعيدي ثورته وبعد أن أفاض في الرد صرح بالنهي كما ذكر آنفاً .

---

(١) . تلخيص المفتاح . ضمن شروح التلخيص : ٥٤٤/٤

(٢) . حاشية الدسوقي على مختصر السعد : ٤/ ٥٤٤

(٣) . ينظر نماذج هذه السمة البلاغية في كتاب : لماذا أنا مسلم صـ : ٦٨ ، ٧٤ ، ٩٨ ، ١٠٤ ، ١١٢

(٤) . لماذا أنا مسلم : ٧٤

ومن النماذج أيضاً قوله في ختام المناظرة السادسة عشرة قوله: (وبهذا **انتهت** هذه المناظرة، فانصرف الحاضرون على أن يعودوا غداً لسماع المناظرة السابعة عشرة)[١]، وقد قامت حول ما اضطرب حوله المفسرون من هجر النبي . ﷺ لنسائه الكرام شهراً .

ومن نماذج النوع الثاني، **وهو إنهاء المناظرة عن طريق العادة** ما جاء في المناظرات الثلاث التي تتحدث عن طبيعة الإسلام مع الأديان السابقة، وموقف الإسلام من العلم والفلسفة، وحادثة تحويل القبلة [٢] .

لم يرد في نهاية المناظرات الثلاث ما يدل على الانتهاء صراحةً، ففي المناظرة الحادية عشرة التي تتحدث عن تحويل القبلة نجد الشيخ يبسط القول في الرد على سؤال القس الذي يقول: (إذا كان هذا شأن الكعبة عندكم، فلماذا اضطربتم في اتخاذها قبلةً لكم؟ فإنكم اتخذتموها قبلة لكم قبل الهجرة من مكة إلي المدينة، ثم عدلتم عنها إلي بيت المقدس في أوائل إقامتكم بالمدينة، ثم عدلتم إليها فكانت قبلتكم في صلاتكم، وجعلتم حجكم إليها في أشهركم الحرم؟)[٣].

هذه فرية المستشرقين تجاه تحويل القبلة، وما كان من الشيخ عبدالمتعال تجاهها إلا أنه عرض الحكمة من هذا التحول، وسر اتخاذ الإسلام الكعبة قبلة لهم قبل الهجرة في نظر الشيخ هو أنها (القبلة الطبيعية له، ولكل دين قبلة...وإن من مصلحة أهل الأديان أن يكون لأهل كل دين قبلة خاصة به لما بينهم من التنازع والتخاصم ، فإذا اجتمعوا في قبلة واحدةٍ في حجٍ أو نحوه لم يؤمن تنازعهم وتخاصمهم، ولهذا قال الله في (سورة البقرة: ١٤٨):

(١) . السابق : ١١٢
(٢) . السابق : ٨٠ ، ٨٥ ، ٩٢
(٣) . لماذا أنا مسلم : ٧٨

" وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ "(١).

هكذا انتقل الشيخ من الدليل العقلي لإقناع الخصم إلي الدليل النقلي الذي ليس بعده دليل، ثم استمر في بيان الحكم مبيناً بقاء تنازع اليهود والنصارى في شأن قبلة الإسلام؛ لأنها في نظرهم (دعوة سياسية قومية يراد منها مصلحة العرب)(٢)

وهذه هي الحكمة الثانية التي بينها الشيخ للقس من اتجاه المسلمين بعد الهجرة إلي بيت المقدس، وهي إزالة هذا الظن من نفوسهم، فالإسلام يضحي بقبلته إلي قبلتهم؛ (لأنه لا يهمه أمر القبلة بقدر ما يهمه جمع الناس على دين واحدٍ)(٣) .

ثم كانت الحكمة الثالثة من توجه المسلمين إلي الكعبة مرة أخرى، وهي القرب من **السلام**، فاليهود والنصارى(أعداء متخاصمون، وأشياع متباغضون، فالبعد بينهم في هذه الحالة أسلم، وانفراد كل دينٍ بقبلته أدعى للسلم)(٤) .

أرأيت ما في النص من دلالة كلمة " **أسلم، وأدعى للسلم** " على النهاية، ومن ثم كانت تلك المفارقات العجيبة بين الأديان في شأن القبلة نهاية تلك المناظرة، وبيان أن من السلام بقاء كل دين على قبلته إيماء حسن إلي انقطاع الكلام ونهايته، وأنه ليس وراءه بيان؛ لأنه نهاية حسنة.

وحسن النهايات من البلاغة في الصميم، ومن وسائل الإقناع الممتازة، وعلى العكس من ذلك النهاية المبتورة الباهتة، فإنها لا تؤدي دورها

---

(١) . السابق : ٧٩
(٢) . السابق : ٧٩
(٣) . السابق : ٧٩
(٤) . السابق : ٨٠

المراد من الكلام، ويحرص ابن يعقوب المغربي على بيان ذلك فيقول: (الانتهاء آخر ما يفهمه السامع، ويحفظه من القصيدة أو الخطبة أو الرسالة، ويرتسم في نفسه، فإذا كان ذلك الانتهاء مختاراً حسناً تلقاه بغاية القبول، واستلذه استلذاذاً يجبر به ما وقع فيما سبقه من التقصير، وجبر الواقع من التقصير يعود إلي مجموع الكلام بالقبول والمدح، وإلا كان الأمر على العكس، أي وإن لم يكن الانتهاء حسناً مجه السامع، وأعرض عنه وذمه، وذلك مما يعود على مجموع الكلام بالذم؛ لأنه ربما أنسى محاسنه السابقة قبل الانتهاء فيعمه الذم، ويرمى إلي الوراء، ويكون عند السامع مما ينبذ بالعراء، ومن المعلوم في المذوقات آن آخر الطعام إن كان لذيذاً أنسى مرارته الأولى، وإن كام مراً أنسى حلاوته الأولى)[١].

(١) . مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي . ضمن شروح التلخيص : ٤/ ٥٤٣

المبحث الثاني

بلاغة أسلوب الاستفهام في رد شبهات الفكر الغربي

لا يُنكَرُ ما يحدثه الطلب الإنشائي من أثرٍ في النفوس المرهفة، **فالاستفهام** يحدث حالة من الغليان الصدري، والانفجار الوجداني خاصة حين يُوظف توظيفاً يتواءم والهدف المنشود، **والأمر** يدفع إلي الوثوب نحو تحقيق المراد، **والنهي** يحمل المخاطب على الوقوف المفاجئ إذا خاف ضرراً يناله، **والنداء** يدعو إلي التحول من حال إلي حال، وأنعم بتحول المخاطب من حال الركود إلي نباهة الشأن، وإحياء الذكر، **والتمني** يساعد على الوصول إلي المعالي، وهي وإن كانت مستحيلة إلا أن التفكير في حصولها يوقظ الهمة .

وللاستفهام . غالباً . في المناظرات سواء أكانت علمية، أم سياسية، أم دينية، أم اقتصادية الحظ الأكبر من التعبير (وليس غريباً أن يحظى باشتغال مركزيٍ داخل المناظرة، ويبسط شبكته على أسلوبها، فدون السؤال نكون خارج النقاش، وإذا كانت المناظرة تبني على اختلافٍ بين الذوات في مقاربة قضية معينةٍ، فإن السجال الذي يشكل قيمتها المهيمنة مبناه على السؤال...إن السؤال هو . دائماً . تجلٍ لمشكلٍ مطروحٍ تجب معالجته، ومن ثم فهو يقتضي تفاعلاً بين الذوات المعنية به)(١) .

ومناظرات الشيخ عبدالمتعال الافتراضية التي جرد منها مستشرقاً يهاجم الإسلام وشرائعه، قامت على الحوار الاستفهامي المتضمن سؤالاً وجواباً، فكلها من أول مناظرة إلي آخر مناظرة مبنية على منهج تأليفي واحدٍ لم يخرج عنه الشيخ قيد أنملةٍ، ومن خلال استقراء الاستفهام في المناظرات تبين أن له الصدارة بعد المقدمة مباشرةً، وذلك في كل مناظرةٍ.

(١) . بلاغة الإقناع في المناظرة . د/ عبداللطيف عادل : ٢٠٧

طابع الاستفهام في المناظرات

من خلال تتبع الأسئلة التي أوردها الشيخ عبدالمتعال في مناظراته الافتراضية ضد شبهات الفكر الغربي على الإسلام تبينت لي طبيعة هذه الأسئلة، وظهر أنها . في معظمها . **تندرج تحت مظلة الأسئلة المحصورة**، وهي التي يكون المستفهم عنه محصوراً في جزئية خاصةٍ، وليس عاماً على الإطلاق؛ (كقولك: ألحماً أكلت أم خبزاً ؟، فقد حصرت عليه أن يجيبك إلا بأحدهما، أما المفوض، فهو كقولك: ما أكلت؟ فله أن يقول ما شاء من المأكولات؛ لأنك فوضت الجواب إليه)[١]، وأستفيد من هذا النص أن الاستفهامات إما أن تكون خاصة أو عامة، أومفوضة ومحصورة، وللتمثيل لهذه الطبيعة من داخل مناظرات الشيخ الصعيدي أفصحُ عن رأيه تجاه شبهة تتعلق بالقرآن الكريم، وهي: اتهام المستشرقين له باحتوائه على أخطاء تاريخية، وهذا يتعارض مع قوله تعالى: " لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ "(فصلت : ٤٢) .

يقول الشيخ على لسان القس صمويل: (لقد نسب القرآن مريم أم عيسى إلي عمران أبي موسى، وجعلها أختاً لهارون أخيه، مع أن موسى أقدم من عيسى بنحو من ألفٍ وستمائة سنةٍ، وقد كان أبو مريم هو هالي أو عالي، وهو من نسل داود . عليه السلام . ، وداود من نسل يهوذا ابن يعقوب . عليه السلام .، أما موسى وهارون فهما من سبط لاوي ابن يعقوب، **فكيف يجعل القرآن عمران أباً لمريم؟ وكيف يجعل هارون أخاً لها. مع أن حقيقة نسبها هو ما ذكرت...فما تقول في هذا يا محمد؟)**[٢]

إن الغرض من هذه الأسئلة هو إيقاع الخصم في **حالة من الحيرة والحرج والضعف** ولكن الشيخ أزال تلك الحيرة برده الذي اعتمد على أساسٍ من

(١) . السابق : ٢١٢

(٢) . السابق : ٦٩ ، ٧٠

أدب البحث والمناظرة، وعلى بلاغة التشبيه في نفي الافتراء الموجه للقرآن، وعلى الأعراف اللغوية عند العرب، وعلى قواعد النحاة .

أما عن الأساس الأول ففيه يقول الشيخ: (لا يمكنك أن تحج خصماً بدليل نقلي إلا إذا اعترف بصحة ما نقل منه كما تقرر في علم أدب البحث والمناظرة)[١] .

وأما عن الأساس الثاني فيقول الشيخ: (إنه لا مانع من أن يكون عمران الذي نسبت مريم إليه في القرآن هو عمران أبا موسى؛ لأنه مثل إبراهيم وإسحاق ويعقوب ونحوهم من الآباء الذين يصح أن ينسب إليهم كل يهودي لعظمتهم وشهرتهم بين الأنبياء)[٢]، وهنا يبرز دور التشبيه في جواز انتساب كل يهودي إلي عمران أبي موسى، وذلك لعظمته ولا غضاضة في ذلك، ويقوي ذلك أيضاً جواز انتساب كل حبر من أحبار اليهود إلي هارون أخي سيدنا موسى عليهما السلام، وعليه فقوله تعالى للسيدة مريم: يا أخت هارون ليس فيه خلط زمنى ولا تاريخيٌ .

والأعراف اللغوية التشبيهية في ذلك ظاهرة يقول الشيخ: (هم في هذا كآباء قبائل العرب من قريشٍ وتميمٍ وقيسٍ وغيرهم، وكان العرب ينادون كل واحدٍ من قريشٍ مثلاً: يا أخا قريشٍ، وكل واحدةٍ منهم: يا أخت قريشٍ، وعلى هذا يصح أن ينادى كل حبرٍ من أحبار اليهود: يا أخا هارون، وأن ينادى من يسلك من النساء مسلكهم: يا أخت هارون)[٣] .

وهذا النداء: يا أخت هارون الوارد في سورة مريم (لم يثر مشكلة من النصارى واليهود في عهد النبي . ﷺ ؛ لأنهم مهتمون أنها تعني (يا منحدرةً من نسل هارون)...ولم تكن قد أتت في مخيلتهم تلك الفترة الزمنية التي ذكرها

(١) . السابق : ٧٠
(٢) . السابق : ٧١
(٣) . السابق : ٧٣

كثير من المستشرقين...؛ لأن هذا التفسير لغوي واضح جداً لمن يعرف اللغة العربية جيداً ويعتاد على مصطلحاتها)[١] .

وأما عن الأساس الرابع فهو يتعلق بقوله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ...)(آل عمران : ٣٣ ـ ٣٦)، وفيه يدَّعون تناقض القرآن في جعله عمران أبا موسى أباً لمريم أيضاً، وللرد على ذلك يعتمد الشيخ على قول النحاة: إن المعرفة إذا أعيدت كانت عين الأولى [٢].

يقول الشيخ: (ورد في الإنجيل أن عيسى جلس على كرسي أبيه داود، وكان بينه وبين داود أكثر من عشرة آباء، وقد قال يعقوب لابنه يوسف في سورة يوسف: وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)(يوسف : ٦)، وإبراهيم جده الثاني، وإسحاق جده الأول...وإنك إذا رجعت أيها القس إلي الآيات التي نقلتها من سورة آل عمران تجدها ظاهرةً في أن عمران واحدٌ في هذه الآيات؛ لأن المعرفة إذا أعيدت كانت عين الأولى...)[٣] هكذا جاءت الأجوبة محصورة في الرد على جزئيات معينة وردت في الأسئلة.

ويلمس من يقرأ مناظرة من تلك المناظرات أن من طابع أسئلتها . كذلك . **انعقادها على الشك لا على طلب الفهم**، ومن ثم فإن الجواب عن أسئلة الشك يختلف عن أجوبة طلب الفهم حقيقةً، فأسئلة الشك جدلية، وأسئلة طلب الفهم حقيقية تعليمية، ويؤكد الشيخ الدسوقي ذلك فيقول: (السؤال ضربان

---

(١) . دفاعاً عن القرآن ضد منتقديه . د/ عبدالرحمن بدوي صـ / ٢٤٩ . تقديم د/ محمد عمارة ط/ ١٤٣٦هـ

(٢) ـ ينظر :حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك . المؤلف :أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (ت/ ١٢٠٦هـ) (٣٦٩/٣) الناشر: دار الكتب العلمية بيروت– لبنان . ط/ الأولى ١٤١٧هـ –١٩٩٧م .

(٣) . لماذا أنا مسلمٌ : ٧١

جدلي وتعليمي، والأول يجب أن يطابقه جوابه، والثاني يبني المجيب فيه جوابه على الأمر اللائق بحال السائل، كالطبيب يبني علاجه على حال المريض دون سؤاله، فتجوز المخالفة فيه)[١] .

ويحسن بعد ذلك أن أقف عند أكثر أدوات الاستفهام دوراناً على لسان الشيخ عبدالمتعال . رحمه الله تعالى . ، ثم أقوم بتحليلها، وبيان الغرض البلاغي منها، وأضع ذلك تحت عنوان .

مقاصد الاستفهام في المناظرات

إن مما لا شك فيه أن البيان عن مضمرات النفس يكون إما عن طريق الحقيقة أو المجاز، والاستفهام من الفنون البلاغية الطلبية التي يكون المراد منها إما الحقيقة وإما المجاز، ودراسة السياق خير معينٍ على بيان ذلك، ولما كان الاحتدام، والاشتباك، وقصد المغالبة، وإفحام الخصم من طبيعة المناظرة كان ذلك أدعى إلي خروج أدوات الاستفهام من دلالاتها الحقيقية إلي دلالات أخرى تستفاد من السياق الداخلي، والخارجي، وهذه الدلالات الجديدة للاستفهام (تعكس الطاقة الحجاجية التي ينطوي عليها، ويمكن اختزال أغراض الاستفهام داخل المناظرة في سؤال الاستنكار، وسؤال التقرير، وسؤال التوريط، والسؤال الجوابي)[٢]، والسؤال الجوابي هو الرد على السؤالٍ بسؤالٍ فيه إسكات الخصم، وتسليمه بخطأ ما قال، وإذا كانت المناظرة لها أكثر من هدفٍ، فلم نختزل أغراض الاستفهام فيها؟، ونحددها بتلك الأغراض العامة؟ ولم لا نوسع دائرة الأغراض حتى نخرج بنتائج أكثر مفيدة؟.

إن أكثر أدوات الاستفهام التي استخدمها المستشرقون في الطعن على الإسلام هي "كيف" **ومقصدهم من استخدامها هو الإنكار**، وها هي بعض الأسئلة المعبر عنها بـ "كيف".

(١) . حاشية الدسوقي على مختصر السعد . ضمن شروح التلخيص : ١/ ٤٨١
(٢) . بلاغة الإقناع في المناظرة . د/ عبداللطيف عادل : ٢١٥

- كيف يمدح قرآنكم النصارى، ويذمهم في سورة واحدةٍ؟ وفي آيات متقاربةٍ، وهو يقول في(سورة النساء:٨٢): أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا)[١] .
- كيف يرضى المسلم بالتحاكم إلي التوراة، وهو يعتقد أنها محرفة؟[٢] .
- كيف تقول: إن الإسلام أنصف المرأة، ولم يجحف بها، وقد شرع تعدد الزوجات، وفي هذا ضرر كبير عليها؟[٣] .
- كيف تنكر أيها الفتى فضل هذا الجهاد؟[٤] .
- كيف يجعل القرآن عمران أباً لمريم؟ وكيف يجعل هارون أخاً لها مع أن حقيقة نسبها هو ما ذكرت؟ فما تقول في هذا يا محمد[٥].
- يا محمد تزعمون أن الإسلام دين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وغيرهم من الأنبياء كما جاء في سورة البقرة (١٣٦): "قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ "، **فكيف** تكونون على دين هؤلاء الأنبياء، وقبلتهم إلي بيت المقدس، وقبلتكم إلي الكعبة، فلو كنتم على دينهم لكانت قبلتكم إلي بيت المقدس مثلهم ؟)[٦] .

(١) . لماذا أنا مسلم : ٢٤
(٢) . السابق : ٢٧
(٣) . السابق : ٤٩
(٤) . السابق : ٥٧
(٥) . السابق : ٧١
(٦) . السابق : ٧٥

- يا محمد نحن نرى أن نعيم الآخرة وعذابها روحانيان...أما القرآن فقد جعل نعيم الآخرة وعذابهما حسيين...ولا أدري **كيف** يحرم الخمر في الدنيا، ويبيحها في الآخرة ؟ (١)
- لقد اطلعت يا محمد على ما يذكره المفسرون، وعلماء السيرة في بيان سبب نزول الآيات في أول سورة التحريم...فقد ذكر بعضهم...وذكر بعض آخر في سبب ذلك...فهذا ما عوتب على تحريمه على نفسه، **فكيف** يحرم بنيكم العسل على نفسه لخبر كاذبٍ ألقي إليه؟ **وكيف** يبني أحكامه على هذا الكذب؟ **وكيف** ينزل قرآن في هذا الخبر الذي لا قيمة له؟ **وكيف** يحرم نبيكم مارية على نفسه، وهو الذي بعث إليها، ولم تكن تملك أن تمنع نفسها منه؟ **وكيف** هذا في حفصة وهو من حقها وحدها، ولا يصح أن يعطي منه شيئاً لغيرها إلا بإذنها؟ **وكيف** يصل به هذا الأمر الصغير إلي أن يهجرهن شهراً كاملاً، **وكيف** يشغل المسلمين بهذا الأمر؟[٢] إلي غير ذلك من المواقف الاستشراقية **الإنكارية** عن طريق أداة الاستفهام "كيف".

إذا أعدنا النظر إلي النماذج السابقة يتضح أن هدف المستشرقين من هذا الجدال الاستفهامي ليس الوصول إلي الحق، بل محاولة إدخال الشك في قلب المسلم، ويتأكد (أن سؤال الاستنكار يتوسله المناظر لتهييج الشك حول المواقف التي يتبناها خصمه إذ يضعها موضع استبعادٍ أو استحالةٍ، كما يتوخى من خلال هذه الصيغة إرباك الخصم وإزعاجه، فالسؤال . هنا . ليس مساعداً يمكن الخصم من بسط وإشاعة طروحاته، بل هو وسيلة لدحره إلي مواقع دفاعية يحرم فيها المبادرة، وينشغل فقط برد النفي)(٣) .

---

(١) . السابق : ٩٣

(٢) . السابق : ١٠٦، ١٠٧

(٣) بلاغة الإقناع في المناظرة . د/ عبداللطيف عادل : ٢١٦

هذا الذي سبق كان هدف المستشرقين من السؤال، إرادة الانكار، والشك، وإرباك المسلم، ووضعه موضع العاجز، فكيف يا ترى أجاب الشيخ عبدالمتعال عن ذلك، وما هي أدوات رده، وأليات منهجه الجوابي، وهل انشغل فقط برده المعبر عنه بالنفي، أو تجاوز ذلك إلي تغيير الوضع عن طريق البلاغة العربية .

ولما كان المقام للتمثيل فحسب، فيحسن أن نقف عند الشبهة الأولى من استفهامات المستشرقين، وهي: **كيف يمدح قرآنكم النصارى، ويذمهم في سورة واحدةٍ ؟ وفي آيات متقاربةٍ ؟** لنتعرف على آليات الإقناع البلاغي لدى الشيخ . رحمه الله . .

إن آيات المدح التي يستشهدون بها هي قوله تعالى: لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ". المائدة: ٨٢ . ٨٥

وآيات الذم في منظورهم هي قوله تعالى: " لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ..." (المائدة: ٧٢ . ٧٣).

هذه نظرة المستشرقين إلي القرآن يغلب عليها الشك فيه، وأنه ليس من عند الله تعالى، وآليات رد الشيخ كانت تدريجية من **العقل إلي النقل** حيث بدأ جوابه عن هذا السؤال الإنكاري على النحو الآتي:

أولاً : بيان أصول وقواعد المناظرات الدينية.، وامتازت تلك الآلية **بالإطناب**، وقد وضحها من طريق العقل فبين أن الهدف من أي جدال هو الوصول إلي الحق، ثم لا بد من صحة أصول المسائل المجادل فيها، ثم إذا تبين صحتها فإنه يدل على صحة فروعها من باب أولى .

ثانياً: نفى وجود الخلاف بين الآيات الكريمة، ومنهاجه في ذلك **الإيجاز**.

ثالثاً : ضرورة الوعي بالسياق القرآني قبل الحكم بالمدح أو الذم، ومما لا شك فيه أن دراسة السياق تعين على إزالة الإبهام والشكوك خاصة في المناظرات .

إن دلالة السياق (ترشد إلي تبيين المجمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظراته)[١]، فالوعي بالسياق له أثره في المعنى خاصة في المناظرات .

وها هو ذا نص رده البليغ، يقول . رحمه الله .: (يكون الجدال في الدين لغرض الوصول إلي الحق في شأنه **بالبحث أولاً** في أصوله المتفق عليها بين أهله، فإذا بحثت هذه الأصول وعرفت صحتها، أو فسادها سهل أمر ما عداها من الفروع...ثم قال له محمد : أما تلك الآيات **فلا خلاف بينها**؛ لأن القرآن الكريم حينما ذكر أن النصارى أقرب مودة للمسلمين من اليهود والمشركين لم يكن يتكلم في هذا عن عقائدهم، وإنما أرد أن يبين شأناً من الشئون التي يرجع **التأثير فيها إلي الطبائع لا إلي العقائد**، وهو مع هذا إنما يريد اليهود في الإجمال، كما يريد النصارى في الإجمال، وقد يكون من اليهود من هو أقرب مودة للمسلمين من بعض النصارى، كما يكون من النصارى من هو أشد عداوة للمسلمين من بعض اليهود، وأما القسيسون والرهبان الذين مدحوا في هذه الآيات فهم قسيسون رهبان أسلموا وآمنوا بما نزل على محمدٍ – صلى الله عليه وسلم – فمدحوا كما تنطق هذه الآيات على إسلامهم الجديد، لا على نصرانيتهم القديمة)[٢]

---

(١) ـ ابن قيم الجوزية . بدائع الفوائد . ت/ محمد الزغلي٤/ ٩ . ط الأولى دار المعالى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م

(٢) . لماذا أنا مسلمٌ : ٢٥،٢٦

حينما نقف عند هذا الرد البليغ يتبين للقارئ الكريم أن الشيخ الصعيدي . رحمه الله . تطرق إلي تبيان أن حديث القرآن عن اليهود والنصارى في هذه الآيات جاء نظمه على طريق **الإجمال لا التفصيل، ومن ثم بين أن المقام هنا مقاماً خطابياً لا استدلالياً**، وعليه فالعداوة للمسلمين من كليهما متفاوتةٌ، فهي ظنيةٌ، وليست يقينية قطعيةً، والمقامات الخطابية تلك هي(المفيدة للظن كالواقعة في المحاورات أي في مخاطبة الناس بعضهم مع بعضٍ كقولك: كل من يمشي في الليل بالسلاح فهو سارقٌ، فإن هذا غير مقطوعٍ به، وإنما يفيد الظن...كقوله ﷺ: " المؤمن غرٌ كريم، والمنافق خب لئيمٌ "[١]...فالنبي- ﷺ- إنما قال ذلك لحسن ظنه بالمؤمن، وسوء ظنه بالمنافق لا لدليل قطعيٍ قام عنده على ذلك، فكل من القضيتين ظنيةٌ؛ إذ قد يوجد في بعض المؤمنين من هو شديد المكر والخداع، وحينئذٍ فالمقام خطابيٌ لا استدلاليٌ)[٢]

وكانت عناية الشيخ بالسياق النزولي للآيات واضحة في تبيانه أنها نزلت في القسيسين والرهبان الذين أسلموا، ودخلوا في دين الله تعالى، كالنجاشي ملك الحبشة ـ عليه رضوان الله تعالى . ذلك الملك العادل الذي لا يظلم عنده أحد[٣].

وقليلاً ما يكون طلب الفهم حقيقة هو المراد في المناظرات، ومع ذلك ظهر ذلك في المناظرة التاسعة عشرة التي دارت محاوراتها حول كتاب: لماذا أنا مسيحيٌ لكاتبه: فرانك كراين توجه الشيخ الصعيدي إلي صمويل زويمر على لسان الفتى محمد فارس مناظراته قائلاً: (لقد أردت أن أسألك في هذه المناظرة لماذا أنت مسيحيٌ؟ حتى يعرف الناس الموازنة بين جواب هذين السؤالين للمسلم والمسيحيٌ :

---

(١) . سنن الترمذي ت ٢٧٩هـ . تح أحمد محمد شاكر . باب ما جاء في البخيل : ٤/ ٣٤٤

(٢) . حاشية الدسوقي على مختصر السعد . ضمن شروح التلخيص : ١٢٤/٢

(٣) ـ أسباب النزول للواحدي النيسابوري صـ : ١٦٥ ت/ السيد الجميلي ط/ دار الريان للتراث . بدون تاريخ

لماذا أنا مسلمٌ ؟

لماذا أنت مسيحيٌ ؟)[١].

وهذا السؤال من باب **رد العجز على الصدر** حيث ذكر هذا السؤال في مستهل مناظراته حينما قال على لسان القس صمويل: (قل لي يا محمد: لماذا أنت مسلمٌ ؟ وقد هان عليكم أمر الإسلام هذا الهوان، وتساهلتم في العمل بفروعه هذا التساهل)[٢]، ومقصد هذا السؤال هو **الإنكار التوبيخي**؛ لأنه أعقبه بما يدل على ذلك، وهو هوان أمر الإسلام في نفوس المسلمين .

التقرير

بين البلاغيون معنى التقرير فقالوا هو: (حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه وإلجائه إليه)[٣]، وهمزة الاستفهام إذا دخلت على أداةٍ نافية أفادت التقرير[٤]، وكان هذا المقصد من مقاصد استفهامات الشيخ الصعيدي للمستشرقين في مناظراته، فلما بين فساد عقيدة التثليث " الأب، والابن، وروح

---

(١) . لماذا أنا مسلم : ١٢٨

(٢) . السابق : ٢٧

(٣) . ينظر : شروح التلخيص : ٢٩٤/٢

(٤) ـ من القائلين بذلك العلامة الزمخشري في قوله تعالي :" أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ" البقرة ١٢:، يقول : " وألا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي، لإعطاء معني التنبيه علي تحقيق ما بعدها، والاستفهام إذا دخل علي النفي أفاد تحقيقاً، كقوله: أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ " القيامة: ٤٠، ولاحظ ابن جني أن هذه (الهمزة) تنقل النفي إلي الإثبات كما أنها تنقل الإثبات إلي النفي فقال:" ولأجل ما ذكرنا من حديث (همزة) التقرير، ما صارت تنتقل النفي إلي الإثبات، والإثبات إلي النفي، وذلك كقوله : ألَسْتُمْ خيرَ منْ رَكِبَ المَطايا * وأَنْدي العالمِين بُطونَ راحِ. أي أنتم كذلك، ومعني التقرير: حمل المخاطب علي الإقرار بما دخله النفي . ينظر: الكشاف: ١/ ٦١، الخصائص لابن جني:٤٦٣/٢، ٤٦٤، والبيت لجرير بن عطية الخطفي وهو من الوافر، وقد ورد في قصيدة مدح بها عبد الملك بن مروان مطلعها: أتصْحُو أمْ فؤادُكَ غيرُ صَاحِ... إلخ ينظر : ديوانه ص ٨٧ من المجلد الأول، ومواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي-٢ /٢٩٧- ضمن شروح التلخيص.

القدس" التي يقول بها النصارى، وفي الحقيقة أنه لا أب، ولا ابن انفعل أسلوبه، وبدت عليه ملامح الغضب، وتميز بالقوة التي ألجأت المستشرق إلي التسليم والإقرار وذلك في قوله: (فما هذا أيها القس الفاضل ؟ أليس هو في الأقل عجزاً عن إثبات عقيدة التثليث؟ أليس هو في الأكثر تشكيكاً فيها وكفراً بها؟ وما هي عقيدة التثليث؟ أليست أولى عقائد نصرانيتكم؟ أليست أهم شيء فيها؟ **أجبني أيها القس الفاضل؟**)[١] .

ومن هذا أيضاً قوله: (فما هذا أيها القس الفاضل؟ أليس كفراً صريحاً بعقيدة الخلاص؟ وما هي عقيدة الخلاص؟ أليست من أهم عقائد نصرانيتكم؟ أليس إنكارها إنكاراً لعقيدة الصلب والفداء أيضاً ؟...**أجبني أيها القس الفاضل**)[٢]

توالت استفهامات الشيخ، وما ذاك إلا لفساد عقيدة التثليث التي قرأها في كتاب: لماذا أنا مسيحيٌ، ومن ثم أدى الاستفهام المنفي دوره في أنه أوقع الخصم في دائرة الإقرار والإذعان فقال: (نعم هذا شكٌ وكفرٌ بعقيدة التثليث، وليس هو من نصرانيتنا في شيء) [٣]، ويتضح من الجواب أنه لم يوضح جانباً من جوانب الاستفسارات المطروحة عليه، بل أقر بصحتها لما لهذه التعبيرات الاستفهامية من طبيعة خاصةٍ، تلك الطبيعة هي القوة الحاملة على التسليم، وقد كان الدسوقي موفقاً حين ألمح إلي تلك الطبيعة في قوله: (والإلجاء قوة الطلب، وهذا تفسير لما قبله)[٤] .

التوريط

إن التوريط (آلية إقناعية في العديد من المناظرات تتوخى الزج بالخصم في حالة حرجة مراهنة على ألا يتخلص منها، أو على الأقل يخرج

(١) . لماذا أنا مسلمٌ : ١٣٠
(٢) . السابق : ١٣١
(٣) . السابق : ١٣٠
(٤) . حاشية الدسوقي على مختصر السعد : ٢٩٤/٢

منهـا بشـكلٍ سـيءٍ، وبالتـالي تسـجيل نقطـة ضـده)[١]، وقـد سـجل الشـيخ الصعيدي بعض الشبه المثارة ضد الإسلام في ثوب الاستفهامات التوريطية مثل قول القس صمويل زويمر للفتى محمد :

- تقول أيها الفتى إن الإسلام ساوى بين الناس، ولم يجعل فضلاً لعربي على عجميٍ إلا بالتقوى مع أنه شرع الرق...ولا يمكن أن يقال مع هذا إن الإسلام قد ساوى بين الناس، أما نحن معشر المسيحيين، فقد جاهدنا في هذا العصر جهادنا المحمود في إبطال الرق البشري...**كيف تنكر أيها الفتى فضل هذا الجهاد؟**[٢]
- إن الرسالة لا تثبت إلا بالمعجزة، ولم يبعث الله رسولاً إلا ومعه معجزته التي تدل على رسالته، فكانت لنوحٍ معجزة الطوفان...أما نبيكم فلا معجزة له كغيره من الأنبياء، وقد كان قومه يطلبون منه ذلك فلا يجيبهم إليه، ويقول لهم في ذلك ما قاله القرآن في سورة الإسراء : " وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا "(الإسراء:٥٩).

هكذا كانت الشبهة، ولما بين الشيخ أن معجزته . صلى الله عليه وسلم . هي القرآن الكريم قال له القس: (إذا كانت هذه معجزة نبيكم، فما معنى الآيات التي ذكرتها لك؟ وهي صريحة في أنه لم يرسل بآية كما أرسل الأنبياء الأولون من قبله؟)[٣] .

أجاب الشيخ الصعيدي عن هذا التوريط الذي أورده السائل فقال: (دعواك أيها القس الفاضل أن الرسالة لا تثبت إلا بالمعجزة غير صحيحة، وإنما تلزم المعجزات في إثبات الرسالة عند عدم الإيمان، وهذا في الغالب إنما

(١) . بلاغة الإقناع في المناظرة صـ ٢١٨
(٢) . لماذا أنا مسلمٌ : ٥٧
(٣) . لماذا أنا مسلم : ٦٦

يكون من الجهلة والمعاندين الذين لا ينظرون بعقولهم، وإنما يريدون أن يؤمنوا بحواسهم، وهو إيمان ناقص لا بقاء له)[١] .

ويلحظ في رده أنه جمع بين الرأيين إلا أنه وازن بينهما وفاضل من حيث الكمال والنقصان[٢]، وهو مع هذا التفاضل يميل إلي الرأي الأول، ويؤكده بأداة التوكيد "إن" في قوله: (وإنه ليكفي في إثبات رسالته سيرته الصالحة بقطع النظر عن المعجزات التي أيد بها كما أيد غيره من الرسل)[٣].

ثم رد الشبهة الثانية فذكر أن المراد بالآيات هنا ليس المعجزات، بل هي: (آيات العذاب التي أهلك بها عاد وثمود وقوم نوح وغيرهم من المكذبين لرسلهم ؛ لأن سيدنا محمد . ﷺ كانت رسالته رحمة لا رسالة عذابٍ، فاختار الله . تعالى . لها تلك المعجزة القرآنية الباقية ليأخذهم بالإقناع لا بالتخويف)[٤].

بعد هذا البيان يظهر أن غرض الحرج بالخصم وتوريطه قد انقلب على الفكر الغربي بالفشل؛ لأن دراسته دراسة مجتزأةً مقطوعة من سياقها، فضلاً على أنهم غير فقهاء في طرائق اللغة العربية، ولأنهم غير فقهاء في معرفة طرائق العربية أرادوا إحداث توريط آخر فزعموا شبهة جديدة هي :

أن المسلمين يستبيحون الرذائل لنجاح أمرهم مثل: الخداع، والمكر، واستدلوا على ذلك بآيات من القرآن، وقد نسج الشيخ الصعيدي تلك الشبهة **في منوال التوريط** على لسان القس صمويل.

يقول القس مخاطباً الفتى محمد: (لقد ذكرت يا محمد فيما سبق أن دينكم لم يقم بالسيف، ولكنه إذا كان لم يقم بالسيف فإنه لا يتحرج من الخداع في نجاح أمره، فيستبيح من هذه الرذيلة ما يستبيحه أهل

---

(١) . السابق : ٦٧

(٢) . ينظر تفصيلٌ للمسألة في : المعجزة والإعجاز في القرآن الكريم . د/ سعد الدين السيد صالح صـ : ٢٣ . دار المعارف ط/ الثانية ١٩٩٣م

(٣) . لماذا أنا مسلم؟ : ٣٨

(٤) . السابق : ٦٧

الدنيا في نجاح أمورهم، والدين يجب أن يتم أمره بالصراحة، وهو أكبر من أن يحتاج إلي مثل هذه الوسيلة، وقد بلغ من استباحتكم للخداع أن استبحتم في قرآنكم وصف الله ـ تعالى ـ به، وقد ورد من هذا في سورة النساء: (إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ) (النساء: ١٤٢)وقد ذهبتم في هذا إلي إن وصفتم الله تعالى بالمكر في قرآنكم كما جاء في سورة الإنفال: (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ) (الأنفال : ٣٠).

محمد: ليس ما ورد في الآيتين من وصف الله بالخداع، والمكر، وإنما هو نوع من البديع يقال له **المشاكلة**، وهو ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته، فمعنى قوله تعالى: وهو خادعهم أنه مجازيهم على خداعهم، ومعنى قوله في الآية الثانية: ويمكر الله أنه يجازيهم على مكرهم، وقد أطلق على الأول لفظ الخداع، وعلى الثاني لفظ المكر ليشاكل كل منهما ما قبله، والمشاكلة من محسنات الكلام، وهي من الأساليب المقبولة في اللغة العربية)[1]

(١) . لماذا أنا مسلم صـ ١١٣، ١١٤

المبحث الثالث

بلاغة الأسلوب الخبري في رد شبهات الفكر الغربي

للأسلوب الخبري دوره الفاعل في رد الفكر الغربي، وشبهاته المزعومة حول القرآن الكريم، وتعاليمه، وكذلك شبهاتهم حول الأنبياء والمرسلين الذين بلغوا تلك المناهج التعليمية إلي الناس؛ ومن خلال المسير على بساط الإسناد الخبري يستطيع المتكلم أن يوسع دائرة النقاش، ويفسح المجال للأداء التعبيري أن ينطلق، ويأخذ حريته في بيان مكنون نفسه دون أن يكون محصوراً في دائرة الجواب عن السؤال فحسب، أو دائرة إيضاح علل الأمر والنهي فقط، ولما كان للأسلوب الخبري هذه المزايا قدمه الخطيب القزويني على أبواب علم المعاني، وأشاد العلامة سعد الدين التفتازاني بهذا التقديم مبيناً علة ذلك بقوله: (وإنما ابتدأ بأبحاث الخبر لكونه أعظم شأناً، وأعم فائدةً؛ لأنه هو الذي يتصور بالصور الكثيرة، وفيه يقع الصياغات العجيبة، وبه يقع غالباً المزايا التي بها التفاضل، ولكونه أصلاً في الكلام)[١]

والمتأمل فيما يتعلق بأحوال الجملة الخبرية يجد أن لها مباحث متعددة، فتعرف وتنكر، وتقدم وتؤخر، وتقيد وتتطلق، وتذكر وتحذف وغير ذلك بخلاف الجملة الإنشائية، وفي ذلك يقول ابن يعقوب المغربي: (ثم شرع في الأبواب الثمانية، وقدم منها أحوال الخبر على الإنشاء؛ لأن مباحثه أكثر، ولطائفه كما يعلم بتتبع التراكيب أعجب)[٢]

ولا يقتصر الأمر على إفادة الجملة الخبرية الفائدة، أو لازم الفائدة، بل يكون لها أغراضاً أخرى تفهم من السياق، وقرائن الأحوال، ولما كان للتعبير بالجملة الخبرية أثر في توسيع مجال عرض المعلومة اتضح لي أن الشيخ عبدالمتعال الصعيدي نهج في مناظراته منهج **التعبير بالخبر** عن شبهات

(١) . المطول لسعد الدين التفتازاني . مطبعة / أحمد كامل : ٤٣

(٢) . مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي . ضمن شروح التلخيص : ١/١٩٠

الفكر الغربي؛ لأنه يتواءم مع غرض اتساع مساحة التعبير الخبري لإزالة التناقض الفكري، ومن ثم نرى أن بعض المناظرات أنشئت للرد على شبهة واحدة، ولم تتكرر فيها الأسئلة .

وأولى الدلالات التي عبر عنها الشيخ الصعيدي من خلال عرض الشبهة بطريق الخبر هي : **تصحيح الاعتقاد حول بنوة المسيح . عليه السلام . في القرآن الكريم**

حاول الشيخ إزالة الاعتقاد الفاسد الذي يعتقده اليهود والنصارى في أن بنوة العزير، والمسيح عيهما السلام بنوة حقيقية لله تعالى؛ لأن ذلك مخالف لما عليه جمهور الأمة، وعرض الشبهة على لسان القس بقوله: (إن اليهود إذا كانوا ينكرون عقيدة التثليث، فهم يقولون بالبنوة، وقد ذكر قرآنكم فيما سبق أنهم يقولون عن عزير إنه ابن الله، ومن يقول بالبنوة يلزمه أن يقول بالتثليث)[(١)]، هكذا عرضت الشبهة عن طريق الخبر، والغرض البلاغي منها هو : التشكيك في العقيدة

ويتسم رد الشيخ عليها بالتأكيد على أن هذا الاعتقاد لطائفة شاذة من اليهود، وانتفاء الأخذ به، ثم بيان المعنى المراد بالبنوة في الآيات القرآنية، فقال على لسان الفتى محمد: (إن جمهور اليهود لا يقولون إن عزيراً ابن الله، وإنما كان يقول بهذا طائفة مجهولة منكورةٌ قد ذكر اسمها ابن حزمٍ في كتابه في الملل والنحل، ولم يخل دين من وجود طائفة شاذة فيها، وقد وجد في الإسلام من يعتقد في على ابن أبي طالبٍ . رضى الله عنه . مثل اعتقاد تلك الطائفة اليهودية في عزيرٍ، ومثل اعتقاد النصارى في المسيح، ولا يصح أن يؤتى في دينٍ من الأديان باعتقاد هذه الطوائف الشاذة، وإنما يؤخذ فيه بما عليه جمهور أهله، على أنه يجوز أن يكون اعتقاد تلك الطائفة في بنوة عزير لله مثل اعتقاد سائر اليهود أنهم أبناء الله وأحباؤه، كما حكى الله ذلك عنهم، وعن النصارى

(١) . لماذا أنا مسلم : ٣٢

في سورة المائدة: "وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ "(المائدة:١٨) فهي بنوة محبةٍ، وليست بنوة حقيقة تقتضي في الابن صفة الألوهية)[١] .

قد أفسح الشيخ المجال لنفسه للتعبير عن رأيه في الإجماع، وترك الأخذ بالأقوال الشاذة، وبيان معنى البنوة بأنها بنوة محبة فحسب، وأوضح أنه قرأ هذا المعنى للبنوة في رسالة لأحد المبشرين المسيحيين فقال: (وقد ذكر بعض المبشرين المسيحيين في رسالة صغيرة أن بنوة المسيح لله بنوة محبة، وهذه البنوة لا ينازع فيها الإسلام، ولا ينكر أن يكون المسيح ابن الله بمعنى حبيبه، وقد جاء في القرآن الكريم كثير من هذه الألفاظ المتشابهة، فأولها المسلمون بسهولة على ما يوافق في العقل كمال الله تعالى مثل قوله تعالى: " ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ " (طه:٥) فإذا وافق النصارى على ذلك التأويل في بنوة المسيح لله دخلت المسألة في طور جديدٍ، وأمكن الاتفاق بيننا وبينهم فيها)[٢]

هكذا كان رد الشيخ على الدعاوى الباطلة المزعومة، ولما كانت الآراء متناقضة استدعى ذلك الاتساع والإطناب في الرد، وعدم حصرة، ومن ثم رأينا أنه من أنصار التأويل للآيات المتشابهة في القرآن الكريم مستدلاً على رأيه بآية سورة طه التي هي من شواهد فن التورية أحد محسنات البديع المعنوي، وبناء عليه يتضح أن **إفساح المجال لتصحيح الاعتقاد** دلالة جديدة للأسلوب الخبري فهمت من سياق (التوسيع عبر التناقض؛ ذلك أن المبادلات تتناسل وتتسلسل باختلاف المداخلات...فالتوسيع بالتناقض يعود لاختلاف المتلفظين)[٣] .

(١) . السابق : ٣٢
(٢) . لماذا أنا مسلم : ٣٧
(٣) . بلاغة الإقناع في المناظرة : ١١٦

ثانيا: التفاوت العظيم بين الأديان الثلاثة . الإسلام، واليهودية، والنصرانية .

إن التذكير بما بين المراتب من التفاوت العظيم كتفاوت المرتبة بين المجد والكسول، والمجاهد والقاعد، والمسلم والكافر يشتمل على دلالة توقظ الهمة، وتدعو إلي التحول لحال أفضل، وإذا أدرك تفاوت المنازل من يرى في نفسه علواً (رفع نفسه عن انحطاط مرتبته)[١] .

هذه الدلالة عبر عنها الشيخ حين عرض شبهة النصارى حول المساواة بين الأديان في أسلوب خبري فقال على لسان القس صمويل: (إن الإسلام لا فضل له على سائر الأديان؛ لأنها جميعاً إنما شرعت لجلب المصالح، ودفع المفاسد)[٢] .

إن جلب المصالح، ودرأ المفاسد أصل من أصول الإسلام التي راعى فيها الاعتدال، فلم يغلب فيها مصلحة على مصلحة، بخلاف الأديان الأخرى التي لم تنصف بين هذين الأصلين، ولما كان بيان ذلك من الأهمية بمكان قامت المناظرة الثالثة بالتفصيل البليغ الرادع الزاجر بالرد على تلك الشبهة.

يقول الشيخ على لسان الفتى محمد: (كلا إن اليهودية والنصرانية ليستا مثل الإسلام في مراعاة ذلك من غير فرقٍ بين الشعوب البشرية، وهذا لأن دين الإسلام عام لكل الشعوب، فلم يراع فيه مصلحة خاصة لشعب منها، أما اليهودية فإنها كانت خاصة ببني إسرائيل فروعيت فيها مصلحتهم وحدها، وقد أورث هذا في اليهود حب الذات، وإيثار مصلحتهم المادية على مصلحة غيرهم...وقد جاءت النصرانية فقابلت إفراط اليهود في النظر إلي المادة الدنيوية بإفراطها في النظر إلي الروح، وتخليصها من علائق هذه المادة فكانت الرهبانية هي المثل الأعلى فيها...)[٣] .

---

(١) . حاشية الدسوقي على مختصر السعد . ضمن شروح التلخيص : ١٩٣/١

(٢) . لماذا أنا مسلمٌ : ٤١

(٣) . السابق : ٤١ ، ٤٢

إن للركيزة الثانية من ركائز الحوار وهي الجواب، واستهلاله بأسلوب الردع والزجر (كلا) لأبلغ الأثر في تبرم الشيخ الصعيدي من هذه الأفكار المضللة، ولهذا نفي المثلية المزعومة بأداة النفي(ليس)التي تدل على (النفي التأبيدي في الماضي والحال والاستقبال كما في قوله تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ)[١]، وكأن الشيخ يريد أن يقول: كما أن الله تعالى ليس كمثله شيء فكذلك دينه ليس كمثله دين لعمومه، وغير ذلك، ثم أعقب ذلك ببيان الفروق التي تؤكد تفاوت المنازل بين الأديان الثلاثة .

ثالثاً: بيان مزايا وتفاضل التشريع الإسلامي على الأديان الأخرى

من بين تشريعات الإسلام نجد تشريعه المتعلق بأحكام الأسرة من خطبةٍ، وزواج، ورضاعة، وطلاقٍ إن استدعى الأمر ذلك، وتشريع الطلاق خاصةً وقف عنده الفكر الغربي، واتهم الإسلام حياله بالقسوة، وأنه يدعو إلي التفكك الأسري، ومن أجل رد ذلك كان لابد من بسط للأحكام التي تتعلق بالطلاق؛ لتتضح مزايا الإسلام في عيون المستشرقين الذين يقولون **بأسلوب خبريٍ يدل بلاغة على التبرم والسخط والكره:** (بقي مما نأخذه على الإسلام في شأن المرأة تشريع الطلاق، فقد أعطى الرجل به أقسى سلاحٍ يصيب به امرأته في مقتلها، ويهدد هناءتها الزوجية، ويجعلها تعيش مع الرجل بالرهبة لا بالرغبة، وهي عيشة لا سعادة فيها ولا هناءة)[٢]

استغرق الجواب على تلك الشبهة المناظرة السادسة كلها، فلم يرد فيها شبهة سوى تلك التي في شأن تشريع الطلاق التي يظن الفكر الغربي أن ذلك يحدث على الإطلاق دون نظرٍ إلي خطره، ولأجل ذلك اتسم رد الشيخ في بيان المزايا ببسط العبارات، والإطناب فيها فقال على لسان الفتى محمد: (إن شأن

(١) ـ أساليب النفي في القرآن . د/ أحمد ماهر البقري صـ : ٧٨ . الناشر / مطابع دار الناشر الجامعي بالإسكندرية . الطبعة الأولى ١٩٨٠م

(٢) . لماذا أنا مسلم : ٥٤

الطلاق عندنا كشأن تعدد الزوجات، فلم يبح الإسلام منه ما كان محرماً في الشرائع المنزلة قبله، بل أباح منه ما كان مباحاً فيها، فلا غضاضة في هذا عليه، وقد عرفت أن حكم الإباحة هو الحكم المرن بين الأحكام الشرعية الخمسة، وأنه الحكم الذي يسهل سير التشريع فيه على مقتضى الظروف والأحوال بين إباحة وحظرٍ، وإطلاق وتقييد، فيكون حكم الإباحة في الطلاق هو المناسب لكل زمان ومكان، والموافق لغيره من أحكام هذا الدين العام.

على أن الإسلام لم يبحه مع هذا إباحة خالصةً، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم (أبغض الحلال إلي الله الطلاق)[١] صحيح مسلم، وسنن أبي داود وسنن ابن ماجه، والحقيقة أن إباحته إنما تكون عند الحاجة الشديدة إليه، فإذا لم تكن الحاجة إليه شديدة كان حكمه الكراهة، وإن لم يكن إليه حاجة أصلاً كان حكمه الحرمة؛ لأنه يكون ظلماً للزوجة، والظلم حرامٌ في هذا وفي غيره، ومع هذا لم ينس الإسلام خطر الطلاق، ولم ينس أنه قد يساء استعماله فيقوض نظام الأسرة...)[٢] .

هكذا عبر الشيخ عن تلك الشبهة، وأبان من خلال رده مزية من مزايا التشريع الإسلامي في مسألة تعدد الزوجات، ومسألة الطلاق، وهي: سن التشريعات المرنة التي يسهل سير التشريع عليها في كل زمانٍ ومكان، فتعدد الزوجات مباح، والطلاق كذلك.

واستخدم الشيخ من أساليب البلاغة في الرد التشبيه في قوله : (إن شأن الطلاق عندنا كشأن تعدد الزوجات، فلم يبح الإسلام منه ما كان محرماً في الشرائع المنزلة قبله، بل أباح منه ما كان مباحاً فيها، فلا غضاضة في هذا عليه) .

---

(١)سنن ابن ماجه – أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت:٢٧٣هـ) . ت/ شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله (٣/١٨٠ باب الطلاق). الناشر: دار الرسالة العالمية . ط/ الأولى١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م

(٢) . لماذا أنا مسلم : ٥٤ . ٥٧

وتعريف المسند إليه كما في قوله: (الإباحة هو الحكم المرن بين الأحكام الشرعية الخمسة، وأنه الحكم الذي يسهل سير التشريع فيه على مقتضى الظروف والأحوال)

ودلالة نفي الشيء على إثبات ضده كما في قوله: (لم ينس الإسلام خطر الطلاق، ولم ينس أنه قد يساء استعماله فيقوض نظام الأسرة)، فهذا يدل على مزايا الإسلام وفضائله.

هكذا تبين للقارئ الكريم كيف أعان التعبير الخبري في عرض الشبهات على عدم التقييد في إبداء الرأي، وعلى التوسعة في العرض لإظهار التناقض الفكري، وذلك بخلاف الأسلوب الإنشائي الذي يحصر التعبير حصراً في التقيد بالإجابة عن السؤال الموجه للسائل فحسب.

الخاتمة

بعد عرض ما اتسمت به المناظرات الافتراضية للشيخ عبدالمتعال الصعيدي من آليات بلاغية إقناعية أسلمت الدراسة إلي التوصل لعدد من النتائج أذكرها على النحو الآتي:

أولاً . أظهر البحث أن الدراسات الاستشراقية لعلوم الدين واللغة العربية في جميع المجالات لم يكن هدفها الوصول إلي الصواب، أو طلب الهداية الإيمانية، بل سعت، ولا زالت إلي تحقيق أطماع سياسية من أهمها: إعداد جيل من المنصرين للقيام بالتنصير في البلاد الإسلامية، وكذلك: تنفير النصارى من الدين الإسلامي من خلال رسم صورة سيئة لتشريعاته الحكيمة.

ثانياً : عرضت الدراسة للجهد الكبير الذي قام به الشيخ عبدالمتعال الصعيدي ـ رحمه الله . ضد المستشرقين، وبينت أنه كان من المنافحين عن الدين الإسلامي من خلال إبداعه الأدبي المتمثل في مؤلفه المفيد: لماذا أنا مسلم؟، كما عرضت لسمت هذا التعبير الأدبي الذي صاغ به المناظرات الافتراضية المودعة بين دفتي هذا الكتاب الماتع.

ثالثاً : بينت المناظرات أن الشيخ له اتساع معرفي كبير، وإحاطة بكل الموضوعات التي ينشر المنصرون سمومهم من خلالها، وقد عرض تلك الموضوعات، وتحدث عنها من خلال نسج المناظرات على منوال التعبير القصصي السردي الذي تمتعت حواراته بعدم خلوها من أركان القصة المتمثلة في: الحدث، والشخصيات، والحوار، والعقدة، والحل.

رابعاً: أوضحت الدراسة أن من آليات الإقناع البلاغي منها ما يتعلق بالمتكلم، والمخاطب والنص، وأن المتكلم هو الركن الرئيس في الإقناع؛ لأنه المنتج له، وأن من وسائل إقناعه: وضوح الدلالة، وفهم طبيعة المخاطب، والفصاحة، والإتيان بالحجة والدليل، كما توصلت الدراسة إلي أن معرفة المتكلم بمواطن التأثير في الكلام من أهم وسائل أقناعه، وأنه إن أحسن استثمارها كان ذلك أصفى وأنقى لمراده، وأثبت البحث كذلك أن مقاصد الاستفهام في المناظرات

الجدلية إما الإنكار، وإما التوريط، وإما التقرير، والمقصد الأخير يقل الاتيان به، ومن آليات الإقناع . كذلك . التعبير الخبري حيث يعمل على إفساح المساحة الجوابية عن التساؤلات، ومن ثم اتسمت إجابات الشيخ الصعيدي بالإطناب حيث كان رده مؤيداً بالأدلة العقلية، والنقلية، ومصححاً لما هو خطأ في الأذهان الاستشراقية.

وفي نهاية المطاف أسأل الله تعالى التوفيق فيما كتبت، ورحم من نظر فيه، وسدد ما يجده من الخلل، وغفر ما يقع فيه من السهو والزلل، والله تعالى من وراء القصد، وهو الهادي إلي سواء السبيل.

المصادر والمراجع

أساليب النفي في القرآن . د/ أحمد ماهر البقري . الناشر / مطابع دار الناشر الجامعي بالإسكندرية . الطبعة الأولى ١٩٨٠م

أسباب النزول للواحدي النيسابوري . تح/ السيد الجميلي ط/ دار الريان للتراث . بدون تاريخ

الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري . د/ محمود حمدي زقزوق . هدية مجلة الأزهر عام ١٤٣٧هـ ٢٠١٦م

أصول النظرية البلاغية . د/ محمد حسن عبدالله . مكتبة وهبة بالقاهرة . ط/ الثانية ١٤١٦هـ ١٩٩٦م

أعلام وأقزام في ميزان الإسلام . جمع وترتيب/ أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله العفاني . الناشر/ دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، جدة – السعودية . الطبعة/ الأولى١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م

بدائع الفوائد . ابن قيم الجوزية . ت/ محمد الزغلي . ط الأولى دار المعالى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

بلاغة الإقناع في المناظرة د/ عبداللطيف عادل . منشورات ضفاف . بيروت . لبنان . ط/ الأولى ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م

البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ت ٢٥٥هـ . تح/ عبدالسلام هارون .

تجديد الأصول الإسلامية في فكر الشيخ عبدالمتعال الصعيدي . د/ عصمت نصار . ط/ وزارة الثقافة . الثالثة ١٤٣٨هـ ٢٠١٧م

تلخيص مفتاح العلوم للخطيب القزويني . ضمن شروح التلخيص . مطبعة الحلبي

تهافت الفكر المادي التاريخي بين النظرية والتطبيق . د/ محمد البهي . منشورات المجلس الأعلى لشئون الإسلامية . العدد: ١٨٣ عام ١٤٣١هـ ٢٠١٠م

حاشية الدسوقي على مختصر السعد . ضمن شروح التلخيص . مطبعة الحلبي
حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك . المؤلف :أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (ت/ ١٢٠٦هـ) الناشر: دار الكتب العلمية بيروت– لبنان . ط/ الأولى ١٤١٧هـ –١٩٩٧م
دفاعاً عن القرآن ضد منتقديه . د/ عبدالرحمن بدوي . تقديم د/ محمد عمارة ط/ ١٤٣٦هـ
رسالة الآداب في علم آداب البحث والمناظرة . تأليف الشيخ/ محمد محيي الدين عبدالحميد
رسالة الاداب في علم آداب البحث والمناظرة . عصام الدين أبي الخير أحمد بن مصطفي بن خليل المعروف بطاشكبرى زاده ت ٩٦٨هـ . تح: حايف النبهان . دار الظاهرية بالكويت . ط/ الأولى ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م
سنن ابن ماجه – أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت:٢٧٣هـ) . ت/ شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله . الناشر: دار الرسالة العالمية . ط/ الأولى١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م
سنن الترمذي . المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) تح/ أحمد محمد شاكر . الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر . الطبعة: الثانية ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م
علم اللغة العام د/ عبدالصبور شاهين . ط/ مؤسسة الرسالة بيروت . الثالثة ١٩٨٠م،
في بلاغة الخطاب الإقناعي د/ محمد العمري : ٩٠ . الناشر/ أفريقيا الشرق ببيروت . ط/ الثانية ٢٠٠٢م
لسان العرب لابن منظور . تح / عبدالله الكبير وآخرون . ط/دار المعارف
لماذا أنا مسلم؟ للشيخ عبدالمتعال الصعيدي ت١٩٦٦هـ . تح أد/محمد عمارة . هدية مجلة الأزهر . جمادي الأولى ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م

مختصر السعد على تلخيص المفتاح . ضمن شروح التلخيص . مطبعة الحلبي
المطول للعلامة سعد الدين التفتازاني . مطبعة/ أحمد كامل
المعجزة والإعجاز في القرآن الكريم . د/ سعد الدين السيد صالح . دار المعارف ط/ الثانية ١٩٩٣م
مقاييس اللغة لأحمد ابن فارس ت٣٩٥هـ . تح/ عبدالسلام هارون . دار الفكر للطباعة والنشر
مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي . ضمن شروح التلخيص . مطبعة الحلبي
موقف مفكري المسلمين من المستشرقين . د/ عبد المعبود مصطفى سالم . بدون تاريخ
النحو العربي بين الصناعة والمعنى د/ عبدالفتاح حبيب . ط/ الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٩م .

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٨٩٤٣
التمهيد: حول مفهوم المناظرات، وبلاغة الإقناع عند الشيخ الصعيدي	٨٩٤٦
المحور الأول: المناظرة، وطرفاها	٨٩٤٦
المحور الثاني: وسائل الإقناع عند الشيخ الصعيدي	٨٩٤٩
المبحث الأول: بلاغة المناظرات بين الابتداء والانتهاء	٨٩٥٤
سمت بداية المناظرات	٨٩٥٥
سمت نهاية المناظرات	٨٩٥٧
المبحث الثاني: بلاغة أسلوب الاستفهام في رد شبهات الفكر الغربي	٨٩٦٦
طابع الاستفهام في المناظرات	٨٩٦٧
مقاصد الاستفهام في المناظرات	٨٩٧٠
الإنكار	٨٩٧٠
التقرير	٨٩٧٦
التوريط	٨٩٧٧
المبحث الثالث: بلاغة الأسلوب الخبري في رد شبهات الفكر الغربي	٨٩٨١
تصحيح الاعتقاد حول بنوة المسيح ـ عليه السلام ـ في القرآن الكريم	٨٩٨٢
التفاوت العظيم بين الأديان الثلاثة ـ الإسلام، واليهودية، والنصرانية	٨٩٨٤
بيان مزايا وتفاضل التشريع الإسلامي على الأديان الأخرى	٨٩٨٥
الخاتمة	٨٩٨٨
فهرس المصادر والمراجع	٨٩٩٠
فهرس الموضوعات	٨٩٩٣